

مكتبة دار الكتب

١٣٥

د. عبد العزيز شرف

فن المقال الصحفي



دار الكتب

2021

١٣٥

مكتبة

رئيس التحرير أنيس منصور

د. عبدالعزيز شرف

فن المقال الصحفي



دار المعارف

كتب سياحية و أثرية و تاريخية عن مصر

<https://www.facebook.com/AhmedMa3tonki/>

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

قناة الكتاب المسموع - قصص قصيرة

<https://www.youtube.com/channel/UCWpcwC51fQcE9X9plc3yvAQ/videos>

فن المقال الصحفي

لعلنا نذكر المسيو جوردان ، ذلك البطل الثرى الجاهل فى مسرحية «مولير» المسماة : «الجتلان البورجوازى» ، ذلك أن جوردان هذا استأجر كثيراً من المعلمين ليعلموه فنون المجتمع الراقى ، وفى أحد المشاهد نجد جوردان يتلقى درسه الأول من أستاذ الفلسفة ولكنه يقاطع الدرس ملتماً طلباً خاصاً :

جوردان : أريد أن أفضى إليك بسر عظيم يقتضى الكتان . إننى واقع فى حب سيدة من الطبقة الراقية وأريدك أن تساعدنى على أن أكتب لها رسالة أبثها فيها لواعج غرامى .

المعلم : حسناً .

جوردان : أريدها رسالة فى غاية الطرافة والكماسة .

المعلم : بكل تأكيد - وتريدها بالطبع شعراً ؟

جوردان : كلا . . كلا - ليس بالشعر .

المعلم : إذن لا شىء سوى النثر ؟

جوردان : كلا لا أريدها مكتوبة لا بالشعر ولا بالنثر .

المعلم : ولكن يا سيدى - لابد لها وأن تكون إما شعراً وإما نثراً .

جوردان : ماذا تعنى بذلك . . .

المعلم : لأن كل شىء يا سيدى لا يكون نثراً فهو شعر ، وكل ما ليس بشعر فهو نثر .

جوردان : وعندما يتكلم المرء - فماذا يكون ذلك ؟

المعلم : ذلك نثر يا سيدى .

جوردان : ماذا تقول ؟ هل إذا ناديتُ خادماً وقلت له « أحضر

خفى يا نيكول وناولنى قلنسوة النوم » - فهل هذا نثر ؟

المعلم : نعم يا سيدى

جوردان : حسناً . . . حسناً . . . حسناً . . . إذن لقد ظلمت أنكلم نثراً

طوال فترة تريد على أربعين عاماً وأنا لا أدري شيئاً عن

ذلك . . . إننى شاكر لك جداً أن علمتنى ذلك !!

ولكن ما لم يعرفه السيد جوردان أن هناك ثلاثة مستويات للتعبير

اللغوى :

أولها : المستوى التذوقى الفنى الجمالى ويستعمل فى الأدب والفن .

والثانى هو المستوى العلمى النظرى التجريدى ويستعمل فى العلوم .

والثالث هو المستوى العملى الاجتماعى العادى وهو الذى يستخدم فى

الصحافة والإعلام بوجه عام . وهذه المستويات الثلاثة كائنة فى كل

مجتمع إنسانى ، والفرق بين المجتمع المتكامل السليم ، والمجتمع المنحل المريض هو فى تقارب المستويات اللغوية فى الأول ... وتباعدها فى الآخر .. فتقارب مستويات التعبير دليل على تجانس المجتمع ، وتوازن طبقاته ، وحيوية ثقافته ، ومن ثم إلى تكامله وسلامته العقلية ، فمن الثابت أن العصور التى يسودها نوع من التآلف بين المستويات العلمية والأدبية والعملية ، هى غالباً أزهى العصور وأرقاها^(١) .

وفن المقال الصحفي - تأسيساً على هذا الفهم - ثمرة من ثمار التقدم الحضارى ، فهو بطبيعته لا يزكو إلا فى بيئة يتكون فيها رأى العام ، ويتقدم فيها العمل السياسى وتتصارع بها الآراء والاتجاهات ، ويتشر فيها التعليم ، وتنهض الفنون ، وتصبح الديمقراطية اتجاهها مقبولا لدى الجميع ، ويتقل التفكير من الذاتية والأسطورية إلى الواقعية والموضوعية .. فإذا نظرنا إلى فن المقال الأدبى نفسه وجدنا أنه قد ظهر فى بيئة ملائمة لنشأته وجد فيها جواً صالحاً للنمو والازدهار ، فمن الثابت أن فن المقال قد رأى النور فى عصر النهضة الأوربية^(٢) .

(١) د . إبراهيم إمام : دراسات فى الفن الصحفي ص ١٧١ .

(٢) Imam. I. The Language of Journalism (1969).

ماهية فن المقال

أطلق « مونتاني » على مقالاته اسم « المحاولات » Essay كأنه - على حد تعبير العقاد - يعتذر من ترسله فيها بغير تقييد بموضوع واحد أو تعمق في التفكير ، وكانت المحاولة في اصطلاح الفنانين هي معالجة صنع المثال من مادة رخوة كالشمع وما إليه قبل صبه في قوالب النحاس أو لمحته من الرخام . فأراد « مونتاني » بمقالاته أن تكون محاولات « رخوة » من هذا القبيل ، وقصرها على الأحاديث المستخفة والتجارب الشخصية التي يتناجى بها الإخوان في ساعات السمر وترجية الفراغ . فلما تناول « باكون » الكتابة المقالية أقل فيها من الناحية الشخصية وزاد فيها من الناحية الدراسية فأصبحت مقالاته أقرب إلى التركيز والإدماج منها إلى التبسط والفكاهة ، ولقيت مع ذلك رواجاً أى رواج ، ثم نشأت الصحافة فاستقرت المقالة في مكانها الذي لا غنى عنه بنوع آخر من أنواع الكتابة الوجيزة ، بعد أن كانت محاولة مترددة بين القبول والإهمال .

« وانقسمت مواضيع المقالات على حسب الصحف والمجلات ، فما كان منها للتسلية والقراءة العامة فقد التزمت فيه طريقة مونتاني وتابعيه ، وما كان منها للدرس والقراءة الخاصة فقد غلبت عليه صبغة

الجد والإتقان . وقيل في تعريف المخط الأول إنه أشبه شيء بحديث شخصى تفاجئه على غير انتظار . فهو مزاج من التفتح والحيلة العارضة على مسمع من المترقبين المتطلعين . . وقيل في تعريف المخط الآخر إنه درس يلاحظ فيه تلخيص المطولات وتقريب المتفرقات ، وقد يبلغ الغاية من التركيز والإدماج ،^(١) .

ويذهب العقاد^(٢) إلى أن « المقالة » ينبغي أن تكون « مشروع كتاب في موضوعها لمن يتسع وقته للإجمال ولا يتسع للتفصيل ، فكل مقالة في موضوع فهي كتاب صغير يشتمل على النواة التي تنبت منها الشجرة لمن شاء الانتظار » .

أما الدكتور جونسون ، فيذهب إلى أن المقال « وثبة عقلية لا ينبغي أن يكون لها ضابط من نظام ، وهو قطعة إنشائية لا تجري على نسق معلوم ، ولم يتم هضمها في نفس صاحبها ، أما الإنشاء المنظم فليس من المقال في شيء » ، وفي تعريف آخر : « المقال هو الإنشاء المتوسط الطول ، يكتب نثراً عادة ، ويعالج موضوعاً بعينه بطريقة بسيطة موجزة على أن يلتزم الكاتب حدود هذا الموضوع ، ويكتب عنه من وجهة نظره هو » . لقد تواضع رجال النقد على أن يطلقوا كلمة « مقالة » على كل ضروب الكتابة النثرية إن قصر طولها وعالجت موضوعاً واحداً ، ويذهب « تشارلتن » إلى أن المقالة قد تكون نظاماً ، ولذلك أمثلة قليلة ، لجدها

في العمود الشعري ، ولهذا كان مدى التفاوت بعيداً جداً بين مختلف صنوف التحرير التي تقع تحت هذا الاسم ، فالبحث العلمي القصير مقالة ، كالرسالة العلمية التي كتبها « لوك » عن طريق اكتساب الإنسان للمعرفة وأطلق عليها « مقالة في العقل البشري » والقطعة الأدبية الفنية مقالة ، ومثال ذلك مقالات « لام » و « أيام » طه حسين ، وهذا النوع من المقالة لا يضيف إلى العلم الإنساني علماً جديداً ولا يقدم للقارئ معرفة ، إنما يقصد إلى إمتاعه ولذته بما فيه من فن جميل ، وبين هذين الطرفين - المقال العلمي من ناحية والمقالة الأدبية من ناحية أخرى - تتفاوت المقالات درجات في دنوها من هذا الطرف أو ذاك ، فمنها ما هو إلى العلم الخالص أقرب ، ومنها ما هو إلى الفن الخالص أقرب ، ومنها ما يجمع الغائتين معاً . على نحو ما نجد في ، مقالات « ماكولي » التي يحاول فيها أن يكون مؤرخاً علمياً يتوخى الحق وصدق الرواية ، وأن يكون فناناً في ألفاظه وعباراته في وقت واحد^(١) ، شأنه في ذلك شأن طه حسين حينما يحاول في مقالاته ما يحاول الخطيب بأسلوبه ، يظهر للناس كأنما هو يدير القول في موضوع عقل منطقي ، لكنه برغم ذلك لا يرجو أن يؤثر عليهم بحجته بقدر ما ينفذ إلى قلوبهم بقوة العبارة وحسن البيان . هذا عن المقال الأدبي ، أما المقال الصحفي فيرتبط بوسائل الإعلام ، التي تحتوي على ثلاثة أنواع رئيسية من المضمون الإقناعي .

(١) هـ . ب . تشارلتن (تعريب وشرح د . زكي نجيب محمود) فنون الأدب .

أولها : الإعلان وثانيها الدعوة المقصودة : كالمقالات الافتتاحية ،
والرسوم الكاريكاتيرية والأعمدة والمقالات التفسيرية التي تؤدي بالقارئ
إلى الوصول إلى استنتاج . وثالثها ذلك المضمون الذي يراد به أساساً ،
الترفيه أو الإعلام بحيث يكون الإقناع منتجاً فرعياً محتملاً .

ويذهب ريفرز وزميلاه في كتاب « وسائل الإعلام والمجتمع
الحديث » إلى أن المضمون الإخباري لوسائل الإعلام قد يكون له تأثير
أكبر في الرأي العام من الإقناع الصريح ، بمعنى أن الأخبار قد تكون
ذات قوة أكبر في تشكيل الاتجاهات العامة من المقالات والأعمدة
السياسية ، والأخبار تسجل الأحداث ، وقد تغير الأحداث التي تقدمها
الصحيفة عقولاً أكثر مما تغيره الدعاية .

ويقدم هودلي كانتريل في كتابه « قياس الرأي العام » قاعدة عامة
تقول : « إن الرأي يتحدد عموماً بالأحداث أكثر مما يتحدد بالكلمات -
ما لم تفسر هذه الكلمات ذاتها على أنها حدث » ويضيف « ريفرز » إلى
ذلك ، أن الأحداث تترع إلى ترسيخ تغيرات الرأي العام الناتجة عن
الكلمات ، وقد يكون التغير في الرأي قصير العمر ، ما لم تسانده بعض
الأحداث .

ولكن هذه القواعد العامة - كما يذهب إلى ذلك برنارد بيرلسون -
تستدعي تعليقين : أولها أنه يكون من الصعب التمييز بين الأحداث
والكلمات . فهل الخطاب الهام الذي يقدمه رئيس الجمهورية حدث أم

مجرد كلمات ؟ وثانيها : أن كثيراً من الأحداث لا تحدث تأثيرها نتيجة حدوثها فحسب ، وإنما بمعاونة من الكلمات أيضاً ، أى أن أهمية الحدث فى إقناع الجمهور قد تشعذ كثيراً من خلال التفسيرات التى يقدمها معلقو التلفزيون ، وكتاب المقال الصحفي .

وتأسيساً على أن التفكير ظاهرة اجتماعية سنحاول فى هذا البحث دراسة المقال الصحفي بين فنون القول ، الأمر الذى يقتضينا بداءة أن نجتهد ما استطعنا فى تحديد بيئة المقال الصحفي ، لتعرف من بعد على مقوماته ، ودراسة هذه البيئة الصحفية تقتضى العناية بدراسة : البيئة المصرية والحيات-السياسية والاجتماعية والفكرية .

بيئة المقال الصحفي في مصر

« إن المجتمع الحديث لا يقع في مجال الرؤية المباشرة لأحد ، كما أنه غير مفهوم على الدوام ، وإذا فهمه فريق من الناس ، فإن فريقاً آخر لا يفهمه » .

هذا القول للكاتب الأمريكي « ولتر ليمان » يشير إلى وظيفة المقال الصحفي في الشرح والتفسير والتكامل ، حيث يصبح حلاً لصياغة المعرفة بطريقة عملية واقعية ، الأمر الذي يجعل من كتاب المقال الصحفي وسطاء اجتماعيين بين الخبراء المتخصصين من ناحية ورجل الشارع من ناحية أخرى .

ذلك الفن الصحفي - على حد تعبير الدكتور إمام - فن حضارى بالضرورة ، فإذا كان الشعر مثلاً يزكو ويزدهر في البيئة البدوية ، حيث تسود الحضارة الشفوية ، فإن الفن الصحفي الذي ينتظم فن المقال في أعطافه - على العكس من ذلك . فالبيئة المحدودة تكتسب فيها المعرفة بالتجربة المباشرة والشخصية ، لأنه إذا ركان جميع أفراد مجتمع من المجتمعات معدين ليفهموا بالتجربة المباشرة ما يجري من أحداث فإن الطرق العادية للاتصال الشخصي تكفي لنشر الأخبار وتفسيرها في هذا المجتمع ، ولا يحتاج الأمر لأية وسيلة من وسائل الإعلام الحديثة .

ولكن المجتمع الذى يزداد نموه ، وتنوع تخصصاته ، وتتعدد مشكلاته ، لا يلبث أن يجد فى فن المقال الصحفي ضرورة حتمية لمواجهة المعادلة الصعبة صياغة المعرفة بطريقة عملية واقعية .

إن فجر الضمير قد بزغ من مصر - كما يقول المصروولوجى « جيمس هنرى برستد » - قبل أن تنهيا للمجتمعات الإنسانية الأخرى عوامل التجمع والاستقرار .

وكان لطابع البيئة ما مهد للإنسان فى مصر عوامل التجمع والوحدة الشاملة والاستقرار الدائم ، ثم كانت هذه الحضارة الزاهرة التى سبقت حضارات العالم أجمع نتاج التفاعل الدائم بين البيئة والإنسان ، فقد واثت الطبيعة هذه البيئة المصرية من العوامل ، ما جعلها مسرحاً صالحاً لأن تشر فيه جهود الإنسان فى بعث حضارة وطيدة اتصلت حلقاتها ، فاستطاعت أن تغالب الدهر وتبقى على الزمن وهى فى مسارها لم تفقد يوماً صلتها بماضيها ، واحتفظت بمقوماتها جلية بارزة . وفى مقدمة هذه المقومات ثلاث ظواهر كونية كبيرة تصلح فى ذاتها مجتمعة لتكون شارة أوركزاً للوطن المصرى وهذه الظواهر الكونية الثلاثة مرتبطة ومتفاعلة ، وهى لا تبرز فى موضع بروزها ، فى هذا الموضع الفريد ، فى ملتقى القارات الثلاث ، وعند مجمع البحرين وبين صحراوين عظيمتين ، فى موقعها الفذ من أفريقية وبين أوروبا وآسيا ، تحرس مدخل البحر الأحمر ، وتشارك فى توجيه الحياة فى البحر المتوسط ، وتشع الحضارة

إلى مدى بعيد في كل اتجاه . على حد تعبير د . عبد الحميد يونس الذى يقول إن أول هذه الظواهر الكونية الكبيرة الثلاث هى الشمس التى تكاد تبدو سافرة النهار بطوله على مدى العام ، ولا ترمد منها إلا قليلا ، ومن هنا قدسها المصريون الأقدمون وقاسوا عليها فترات الزمن فى اليوم ، ومن السنة فصولا محددة . وجعلوا من ذلك كله تقويماً من أدق التقاويم ، ثم فطنوا بعد ذلك إلى تأثيرها فى الأشياء والأحياء وجعلوها رمز الحياة ، وقبسوا منها الوضوح والبساطة ، وعدم التعقيد ، والنظام والاستقرار ، وهى الصفات التى تمثلها المقال الصحفى فى مصر ، إلى جانب وظيفة «التقويم» الصحفى التى تميز بها ، والتى تستمد من هذه الظاهرة الكونية التى اتخذها المصريون رمزاً « للضمير » وجعلوها « سفينة الملايين » تطل منها عين تميز بين الخير والشر فيما يصدر من الناس من أفعال وحركات . ولا يزال المصريون يتأثرون هذه الظاهرة الكونية فى فطرتهم ، وفى وجداناتهم وفى أخلاقهم ، نراها حين يلقى الصغار بأسنانهم فى عين « الشموسة » وفى غير ذلك من تصرفات يأتينا البعض .

وثانية الظواهر الكونية الكبيرة : الرمز الخالد على مصر . . . يدل عليها ، ويقترن اسمها به دائماً ، لأنها قطعة منه . . إنه هذا النهر العبرى الذى لا نظير له بين أنهار العالم جميعاً من طوله ، وانتظام فيضانه ، واستقامة مجراه وعرف المصريون فضله عليهم ، ومكانه منهم فقدسه قدمائهم ، كما فعلوا مع الشمس ، وأخذ المصريون عن النيل دأبه

ومثابرتة ووفاءه ونزوعه المستمر إلى البناء والنفع والخير بلا تفريق ، بل أخذوا عنه خصلة تكاد تكون من أمهات خصالهم وهى النزوع الدائم إلى الوحدة القومية . على نحو ما نجده في نزوع المصريين إلى التوحد منذ جعلوا من « أوزوريس » رمزاً للخير والعلم والنفع .

وإلى جانب هذه السمة البارزة المكتسبة من النيل ، سمة النزوع الأبدى إلى الاتحاد القومى ، نجد مقوماً آخر لا يقل عنها خطراً هو أن اختيار النيل لمجره بين هاتين الصحراوين العظيمنتين الشاسعتين جعل الموطن المصرى يحتفظ بأهله ، وجعل الجاذبية البشرية إلى الداخل ، الأمر الذى ، يجعل العناصر التى تفد إليه ، تنطبع . إذا استقرت بالطابع المصرى ، فـ « التمسير » صفة أساسية من صفات البيئة المصرية التى لا تقاوم ، وعلى ضفاف النيل نبت آلة الحضارة الأولى . وهى ورق البردى ، وأقلام القصب ، فكتب المصريون ووصلوا بين آحادهم ، وسجلوا أعمالهم ، وثبتوا تصرفاتهم ونظموا أملاكهم وربطوا بين الجيل الشاخص والجيل الذى سبقه والجيل الذى بكر بعده ، فتواصلت المعرفة وانتظمت الحياة وكانت خلة « الاستمرار » المتجدد أبداً ميزة من ميزات النيل التى لاتعد . فكانت مصر أمينة على تراثها ، ولم تكن سلفية خالصة ، ولا ثابتة جامدة ، ولا رجعية تستقبل الحياة بظهرها ، وإنما كانت مستأنية فى تطورها ، مثلها فى ذلك نيلها فى حركته الدائبة فى أناة ، وإذا وضع فى طريقها حاجز ضخيم فعلت به ما يفعل النيل ،

فسارت فيه أوحطته . وهذه الصفة « الاستمرارية » هي التي تميز عناصر الأصالة وعناصر التجديد في المقال المصري ، من خلال تمثلها كذلك للظاهرة الكونية الثالثة في مصر ، والتي جعلتها تميل إلى الاستقرار . وإن لم تغزها عن العالم حولها ، وهذه الظاهرة هي الصحراء التي تمتد عن يمين النيل وعن شماله ، والتي أسبغت على الوطن المصري صفة المحافظة على التراث المادي الشاخص ، ويفضل هذا الموقع أصبح الوطن المصري نقطة الارتكاز في العالم العربي . كما اتصل العقل المصري بالعقل اليوناني منذ عصوره الأولى ، اتصال تعاون وتوافق وتبادل مستمر منظم للمنافع ، في الفن والسياسة والاقتصاد . وكان اليونانيون في عصورهم الأولى يرون أنهم تلاميذ المصريين في الحضارة وفي فنونها الرفيعة بنوع خاص ، كما يذهب إلى ذلك طه حسين .

وتأسيساً على هذا الفهم ، فإن القول إن البيئة المصرية أصلح البيئات لنشأة فن المقال ، ونموه وازدهاره ، قول لا يصدر عن نبرة قومية ، بقدر ما تكون دوافعه من طبيعة هذه البيئة ومقوماتها أساس كل اعتبار ، فالمصريون من أشد الناس اهتماماً بالسياسة وتتبعها واستطلاع أخبارها وما جرياتها ، والبصر بمدخلها ومخارجها ، وكانوا منذ القديم من أشد الأمم شغفاً بأحداث الدول وعناية باستطلاع الحكومات ، وقد يسرى بينهم شعور ملهم بدخائل الأغراض الخفية واتجاه الخير واتجاه الشر في الخصومات السياسية ، لما تعاقب عليهم من التجارب وتوالى على

أسماعهم من أحاديث الصاعدين والهابطين والمقبلين والمديرين على حد قول العقاد . وفي هذا الميل القديم ما يهيم البيئة المصرية حين تقبل المطبعة لتحدث ثورتها في الاتصال بالجمهير . إلى تقبل الفنون الصحفية وإنهاضها وإنمائها ، وفقاً لفطرة أصيلة من مورثات الحضارة القديمة فيها .

وفي هذه البيئة المصرية نتلمس عناصر الأصالة في فن المقال الصحفي في مصر ، في رافدين كبيرين : أولهما الرافد المصرى الذى لونه البيئة المادية منذ عصر ما قبل الأسر إلى دخول العرب . وبقيت منه خصائص فيما صدر عن مصر الإسلامية إلى أوائل النهضة الحديثة . والرافد الثانى : عربى ، يحمل في أعطافه خصائص الأدب العربى من ناحية وبعض المأثورات من الحضارات التى مد الإسلام عليها سلطانه من ناحية أخرى ! ولقد « تمصرت » هذه العناصر كلها حتى انصحت في عصر النهضة الصحفية الحديثة وما صدر عنها من آثار مقالية .

فإذا كانت الوظيفة الاجتماعية هى التى تخلق مبررات ظهور الصحافة وقيامها على أداء تلك الوظيفة فإن أوراق البردى التى اكتشفها « فلندرزبترى » والتى يرجع تاريخها إلى أربعة آلاف سنة قبل الميلاد توضح مدى اهتمام المصريين القدماء بإثارة ميول القراء ، وجذب انتباههم . فإذا اختلف المؤرخون حول المكان الأصيل الذى نبت فيه

الصحافة أول مرة ، وسأيرت تطور الإنسان وتقدمه من البدائية إلى الاستقرار إلى التحضر ، فإن ذلك لا يحول دون اتفاقهم على أن مصر قد عرفت الصحافة بهذا المفهوم منذ سبعة وثلاثين قرناً . فهناك وثيقة يرجع عهدها إلى سنة ١٧٥٠ قبل الميلاد تدل على وجود جريدة رسمية تنطق بلسان الحكومة ويكتب فيها الوزير « رخنارا » مقالات تبين اتجاهات الحكومة . ومن العجيب أن ورق البردى انقرض من العالم وحلت محله هذه الأوراق التي تجمعها الكتب بين دفتيها ، وذهب النسخ وجاءت المطبعة ولا يزال الاسم الذي أطلق على ورق البردى papyrus هو الأصل الذي اشتقت منه الأسماء التي تطلق على الورق والصحف في اللغات الغربية . فورقة البردى التي سميت « بيس » بدار الكتب الأهلية بباريس ، تعد - كما يقول « جوستاف لويون » - أقدم من أشعار هوميروس وأقدم من كتب التوراة ، يرجع عهدها إلى الأسرة الثانية عشرة ، ففيها إذن ما خطته الأقلام منذ خمسة آلاف من السنين . ومن ذلك تبين لنا قيمة هذه الوثيقة العريقة والتي حملت اسماً ذا دلالة حديثة في لغة الحضارة « presse » إلى جانب ما توحى إليه من جذور مقالية في التراث القديم ، إذ تضمنت مقالاً أخلاقياً ألفه « كاكنا » في حكم الملك سنيفرو من الأسرة الثالثة ، ومعلومات فتا حوتب التي ترجع إلى الأسرة الخامسة . وإلى جانب هذه الوثيقة عرفت مصر لوناً من صحافة الرأي في النقد والتوجيه والمعارضة ،

كالصحف التي ناوأَت الملك رمسيس الثالث . كما عرفت المقال التزالي في صحتها « الهزلية » التي تناولت بالنقد الشديد والتهكم المرفراعة مصر ، على النحو الذي اتجهت إليه « صحيفة القصر » .

فالدارس للنماذج المقالة الباقية من مصر القديمة يلاحظ أنها تقوم على تقاليد مكيئة وعريقة ، ذلك أن المقال المصرى يرتبط بشغف المصريين بتعلم الآداب ، فجاءت مقالاتهم ثمرة رقى طويل فى طرائق الكتابة للجواهر ، وطرفت موضوعات أخلاقية واجتماعية وفكرية وسياسية ، وقد لا يكون مستجاً أن نتقرى أوجه الشبه أو وجوه الاختلاف بين الشكل القديم للمقال المصرى ، والشكل المحدث فى صحافتنا اليوم ، وإن كان هذان الشكلان يلتقيان ويفترقان ، فقامت النماذج القديمة بوظائف المقال ، حين اقتربت منه فى تنوع الموضوع ، وحينما ذهبت معه لتخاطب الجماهير ، فتميزت بسلامة الفكرة وسداجة التعبير ، وإن كانت قد اتجهت مع التقدم التاريخى إلى التألق والتكلف فى الأسلوب والتعقيد فى الأفكار وخلو الكتابة من الروح كما يحدث فى عصور الانحطاط دائماً^(١) ، وكما حدث فى العصر العثمانى من بعد . ومهما يكن من شىء ، فقد فرضت البيئة المصرية على المصرى ذهنياً عملياً واقعياً ، سهل المنطق واضح فى نظرتة إلى الدنيا وحكمه على الأشياء والناس ، شأنه فى ذلك شأن أبناء الأمم الزراعية عامة^(٢) ،

(١) جوستاف لوبون : الحضارة المصرية ص ٢١٠ . (٢) العقاد : سعد زغلول .

وهذا الذهن العملى هو الذى يبدع الفن الصحفى ، باتجاهه العملى وبلغته العملية الواقعية وهو على ذلك أصلح الأذهان للإبداع فى فن المقال الصحفى على ما تعرفه اليوم .

وإذا كانت بذور الأدب المقالى قد وجدت فى الحضارة المصرية القديمة ، فإن هذه البذور فى الأدب العربى الذى تمثلته مصر الإسلامية من بعد ، توجد فى « الأمثال وجوامع الكلم »^(١) وذلك شأن الأمم فى بداوتها ، فالمثل قريب بطبيعته وصياغته من فن المقال التى أراد لها « مونتاني » أن تكون صورة صادقة عن إحساسه بالحياة وتأمله لها ، لا يلحقها أى تشذيب أو تصنع^(٢) . وذلك ما نجده عند العرب قبل الإسلام ، وذلك أنهم كانوا أمة شعر ، لها حياتها الاجتماعية والسياسية الخاصة^(٣) . فلما جاء الإسلام تغيرت هذه الحياة الاجتماعية والسياسية وحل محلها نظام جديد ، فأخذ العرب فى هذا العصر الجديد يفكرون ويروون ، وظهرت أمامهم مسائل ومشكلات جعلتهم يفكرون ويتلمسون لها الحلول ، الأمر الذى أدى إلى تغير موضوعات التفكير وأسلوب التعبير ، فنشأ النثر الذى يعبر عن المعانى بدون القيود الشعرية^(٤) .

ومن ذلك تبين أن التراث العربى القديم فى عصره الأول لم يعرف

(١) ، (٢) الدكتور محمد يوسف نجم : فن المقالة ص ٨ ، ٩ .

(٣) ، (٤) د . طه حسين : من حديث الشعر والنثر ص ٧٣ ، ٧٤ .

المقال بمعناه الاصطلاحي لدينا ، ذلك أن المدلول الحسى لهذا اللفظ هو « القول » فإذا ذكر النابغة في معلقته وهو يعتذر إلى « النعمان » ويحاول أن يرد التهمة التي ألصقت به ، وأن يقذف بها أعداءه :
مقالة أن قد قلت : سوف أناه

وذلك من تلقاء مثلك رائع «
فإنما هو يعنى : القول . وإذا قال الجاهلى أو العربى بعد الإسلام :
هذه مقالة صدق ، فإنما يريد ما نريده اليوم من تعبيرنا : هذا قول
صادق أو حق .

من ذلك قول الشاعر :

« مقالة السوء إلى أهلها أسرع من منحدر سائل
ومن دعا الناس إلى ذمّه ذمّوه بالحق وبالباطل »
ولا نقع في القرآن الكريم ، ولا في الحديث الشريف ، ولا فيما
أبقت لنا هذه الفترة المبكرة الأولى على غير هذا الاستعمال هذه اللفظة .
فالمقال إذن في صميم هذا الاستعمال العربى ، « كلام شفوى يرتبط
بالنطق ، فإذا ذكرنا المقال بعد ذلك في العصور التي ازدهرت فيها الثقافة
العربية وفي هذه العصور التي نحياها أو أطرافاً منها »^(١) ، وأنه يعنى
الكلام المكتوب ، أدركنا أضخم الفروق التي طرأت على استعمال هذا
اللفظ بين القديم والجديد ، ذلك أن هذا اللفظ كان « في حياتنا الثقافية

(١) د . شكرى فيصل : مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج ٤ م ٤٧ رمضان ١٣٩٢ هـ .

بهذا المفهوم ، جزءاً أصيلاً من هذه الثقافة ، التي كانت تعتمد في أكثرها على الرواية ، فكانت المقالة كلاماً منطوقاً^(١) ولم تلبث في عصور التدوين أن اتخذت شكل « الرسائل المقالية » التي يذهب بعض مؤرخي الصحافة إلى أنها مع التجوز القليل ، صحافة كاملة بالنسبة للعصور التي ظهرت فيها ، وهذه الرسائل المقالية تشكل عنصراً هاماً من عناصر الأصالة في المقال العربي بصفة عامة ، وإن كان مدلول هذه الرسائل المقالية لا يخرج عن الأشكال التي تشكلت بها الرسائل في الاتجاه نحو الذات كما نجد في الرسائل الإخوانية وفي الاتجاه نحو المذاهب المختلفة كما في رسائل الأشعرين والمعتزلة^(٢) .

ولكننا نجد في هذه الرسائل المقالية على العموم نواة لفن المقال في الاتجاه نحو الفكرة سياسية أو اجتماعية كما في رسائل الجاحظ ، الذي يعتبر - كما يقول الدكتور إبراهيم إمام - أول صحفي ممتاز لو أنه عاش في القرن الذي نعيش فيه .

ومن ذلك بين صدق ما يذهب إليه العقاد من أن العرب عرفوا المقالة مع « الفصول » و « المقامات » . . كما يذهب الدكتور محمد عوض محمد إلى أن الكتاب العرب في العصور الأولى كانوا يؤلفون قطعاً من النثر يسمونها « مقالات » .

(١ و ٢) د. شكري فيصل : مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج ٤ م ٤٧ رمضان

١٣٩٢ هـ .

وتأسيساً على هذا الفهم للبيئة المصرية - فرعونية ، وإسلامية - نلاحظ أنها بيئة مهيأة لهذا المقال الصحفي الحديث ، لما يتسم به المصريون من وحدة قومية وأصالة دينية ، صبغت المقال المصرى بصبغة تميزه بين فنون المقال المدونة بالعربية في أقطار أخرى ، ذلك أن المقال المصرى إلى جانب ذلك يتمثل الروح المصرى والذهن العمل الذى يتيح له « لغة عملية تمتاز بالبساطة والوضوح والإيناس واللفظ والرشاقة » وهى اللغة المستفادة كذلك من « لطف » الشخصية المصرية الذى عرفت به بين جيرانها ، كما عرفت « بالتعكيت » فى الزمن القديم والحديث كما يقول العقاد .

وحين نتفق على ارتباط الشخصية الفردية بالشخصية العامة ، فإن القول إن البيئة المصرية من أصلح البيئات لفن المقال الصحفي قول صحيح ، يرتبط باكتشاف الكتاب المصريين وطنهم ، تأسيساً على أن الاتصال النفسى بين الشخصيتين هو أساس الإبداع الحضارى ، الذى يمثل المقال الصحفي مظهراً من مظاهره ، ولذلك يذهب طه حسين إلى أن « الشعب المصرى أول من كتب بالقلم » واتخذ الحروف رمزاً للكلام الذى يؤدى عن القلوب والنفوس والعقول ما يثور فيها من العواطف وما يضطرب بها من الأهواء وما يخطر لها من الآراء ، ويتمثل المقال بيشه المصرية التى تضم وطناً خالداً ثابتاً سعيداً تختلف عليه الأزمنة وما تجمل من الخطوب والصروف ، فلا يتغير ولا يمضى مع الزمن ،

ولكنه ثابت مقيم ، مبتسم ، دائماً ، تشرق شمسهِ الحلوة الهادئة كل يوم فتنبعث الحركة والحياة في كل شيء ، وفي كل إنسان ، ويجرى نيله القوى الرزين فيبعث الحركة والحياة في كل شيء وفي كل إنسان . وتمثل ذلك جميعاً في المقال المصري ، بحيث لا يفكر « في عروبة مصر أو فرعونيته » ، فذلك شيء لا يفكر فيه المصريون إلا حين يريدون أن يتحدثوا في العلم ، أو فيما يشبه العلم من الحديث ، وأما مصر التي تملأ قلوب المصريين وتدفعهم إلى الأمل والعمل دفعا فهي فوق الفروض جميعاً ، وهي فوق الاحتمالات جميعاً ، وهي فوق علم العلماء ، ويبحث الباحثين وفلسفة الفلاسفة ، على حد تعبير طه حسين .

وهذه البيئة المصرية هي التي تحدد مهمة المقال الصحفي في مصر في تحقيق « صلة ثقافية بأدق معاني هذه الكلمة وأرفعها بين الشعوب العربية أولاً وبين هذه الشعوب وأمم الغرب ثانية » على حد تعبير طه حسين أيضاً .

الاتصال بالحضارة الأوربية

على أن موقع هذه البيئة المصرية ، الذى أتاح لها أن تمتاز بين بلاد الشرق الأدنى بثروتها وقوتها وثقافتها . أتاح لها أن تقوم بمهمة التوسط بين الشرق والغرب فى شئون الثقافة والسياسة والاقتصاد ، فإذا كان فن المقال بمفهومه الحديث يرتبط بتاريخ الصحافة ارتباطاً وثيقاً ، فإن عوامل كثيرة قد تضافرت على النهوض به ، منها انتشار التعليم الحديث ، ثم العمل على إحياء التراث العربى القديم ، ومنه كذلك عناية المستشرقين باللغة العربية وآدابها ثم انتشار الصحافة فى الشرق العربى .

فالمقال الصحفي فى مصر يرتبط بانتهاء عصر الوقوف والركود واستئناف الاتصال بين العالم العربى والعالم الأوربى فى أواخر القرن الثامن عشر ، والقرن التاسع عشر ، ثم دقة هذا الاتصال وتنظيمه فى هذا القرن الذى نعيش فيه . حيث ألغيت للمسافات الزمنية والمكانية وأصبح الاتصال فى كل لحظة ظاهرة من الظواهر الطبيعية للحياة المألوفة .

على أن هذا الاتصال بالحضارة الأوربية قد فرض طابعه على جانب هام من جوانب التطور الفكرى والاجتماعى الذى يشمل الصحافة فى أعطافه ، وأخذ امتداد هذا التيار الأوربى يبرز القيم والتقاليد القديمة هزاً

عنيفاً لا يبلغ حد الثورة على تلك القيم والتقاليد وإن كان يرمى إلى التوفيق بين القديم والجديد في إطار من تراث الآباء والأجداد والحضارة العربية الأصيلة . ذلك أن الثقافة في مصر في نهاية القرن الثامن عشر - برغم ما كانت عليه من جمود وانحطاط كانت ثقافة متجانسة لا تعاني من ازدواج أو صراع . حتى إذا استيقظ المصريون على صوت مدافع بونايرت في سنة ١٧٩٨ غازياً البلاد تحدثت مواجهة فعلية بين ثقافتين وحضارتين مختلفتين على الرغم من اشتراكها في الأصول والمنابع الأولى إلى حد كبير .

وقد انعكست الصورة المترسبة عن عصور الانحطاط على فن المقال الذي اتسم بالجمال الفني في الكلام ، وقنع بما كان بينه وبين الأدب العربي المنحط من صلة ، على أن اصطدام المصريين بغيرهم من الأمم قد أذكى في نفوسهم وفي نفوس هذه الأمم جذوة الأدب والفن والعلم . فما هي إلا أن انتهى القرن التاسع عشر - كما يقول طه حسين - حتى كانت الحياة الغربية قد وصلت إلى طائفة من الناس فأثرت بعض التأثير في عقولهم ، وعجزت عن أن تؤثر في شعورهم وعواطفهم ، فكانت حياة عقلية فيها شيء من الجدة ، وفيها ميل إلى الخروج على القديم ، وكان اندفاع يختلف قوة وضعفاً إلى العلم باختلاف الظروف وأطوار الحياة الفردية والاجتماعية ، وأنشئت مدارس وظهرت صحف ، وترجمت كتب ، ولكن الأدب ظل كما هو قديماً أو متين الاتصال بالقديم . على

أن مسار التطور في أساليب التعبير ؛ لا يتنى أن الحملة الفرنسية قد « فتحت أعين الشرق على مواطن عجزه ونقصه ، وعلمته قهراً ما كان يأتي أن يتعلمه باختياره ، فأدرك حاجته إلى التغيير العاجل » كما يقول العقاد ، ولعل من أهم ما جاءت به هذه الحملة أنها أتت إلى مصر بالمطبعة العربية ، التي أخذت تحدث في « مصر والشرق أثراً كالذى أحدثته في أوربة إبان النهضة الأوربية منذ قرون » على حد تعبيره حسين ، ومن أهم هذه الآثار أن هذه الحملة قد جاءت لتمهد لانفصال القومية عن العالم الإسلامى ، وهو الأثر الذى ننظر إليه في إطار الارتباط بين ظهور المقال الصحفى الأوربى وظهور القوميات المسلحة عن العالم المسيحى الموحد . فنجد أن فن المقال الصحفى في مصر كذلك جاء هو الآخر مرتبطاً بحركة الانفصال عن الخلافة العثمانية^(١) . التى ارتبطت في أذهان المصريين بالتخلف الذى جعلهم يتجهون إلى فكرة التقدم العصرى الذى سبق إليه القوم بعلوم ابتكروها ، أو بعلوم اقتبسوها منا ، وآن لنا أن نردها إلينا^(٢) ، فلم يمض جيل واحد بعد الحملة الفرنسية حتى ظهر « الرجل المثقف » فى البيئة المصرية ولم تخل منه بيئة من بيئات التقليد والرجعة إلى القديم ، وهى على عادتها فى الأزمنة المختلفة أعدى أعداء التحول والتجديد^(٣) .

(١) د . إبراهيم إمام : دراسات فى الفن الصحفى ص ١٧٤ .

(٢ ، ٣) العقاد : نفس المرجع ص ١٣ .

وأظهره ما كان من الرجوع إلى الأدب القديم ، وإحيائه بالنشر والإذاعة أولاً ، ثم بالتقليد والمحاكاة ثانياً ، وما كان من تعلم بعض اللغات الأجنبية وقراءة ما ينتج فيها من الآثار ، وترجمة بعض هذه الآثار إلى اللغة العربية في غير نظام ولا اطراد ، وما كان آخر الأمر من الإعراض عن الحياة المادية القديمة والإقبال على الحضارة المادية الحديثة ، واستعارة النظم السياسية والاقتصادية والإدارية والعسكرية والقضائية من أوروبا ، ثم العدول عن العلم الموروث بعد ذلك إلى العلم الحى الحديث ومناهج تعليمه الحية المستحدثة ، وإقرار هذا كله في المدارس والمعاهد العربية والمصرية .

ونتيجة لهذا الاتصال بالحضارة الأوربية تغيرت خصائص كثيرة من خصائص النفس العربية واضطرت إلى أنحاء من التصور والتصوير لم تكن مألوفة من قبل . وأخذ عنصر التطور يعمل من جديد في طريقين متعاكسين ، فقد كان الإحياء للقديم يدفع العقل العربى الحديث إلى وراء ويقوى فيه عنصر الثبات والاستقرار ، كما كان الاتصال بالثقافة الأوربية وحضارتها يدفع العقل العربى إلى أمام . ويقوى فيه عنصر التطور والانتقال . على حد تعبير طه حسين .

وألفت هذه الصورة على الصحافة مهمة الاستمرار بعنصر التطور والانتقال في تقدمه واطراده ، وعاونت العقل العربى على الثبات لهذا التعاكس العنيف ، ذلك أنه كان يخشى في أواسط القرن الماضى وفي

أوائل هذا القرن ، أن يتم التقاطع بين هذين الاتجاهين ، فيذهب فريق من « المتأدبين إلى وراء من غير رجعة ، ويذهب فريق منهم إلى أمام في غير أناة » ويضيع العقل المصرى والعربى بين هذين الطريقتين المتعاكسين كما يقول طه حسين كذلك . . ولكن الصحافة المصرية ثبتت لهذه المحنة واستفادت منها ، فكانت الترجمة كضرورة صحفية مظهراً من مظاهر تغذية المجتمع بالجانب المشرق من الثقافة الغربية ، فأسهمت هذه الضرورة في تحرير النثر الصحفى وغير الصحفى من أغلال الصنعة الموروثة عن عصور الانحطاط ، كما جنحت به إلى السهولة والاهتمام بالمعاني والدقة في التعبير على النحو الذى نراه فيما بعد في « مدرسة الجريدة » ، وصحافة المدرسة الحديثة بصفة عامة ، التى عاجلت المقالة الأدبية والمقال الصحفى وأفادت من الدراسات النفسية والمذاهب الاجتماعية والاقتصادية في مضمون المقال .

فالاتصال بالحضارة الأوربية وثقافتها إذن قد أسهم في تطوير مضمون المقال الصحفى وفنونه من بعد ، على النحو الذى تشير إليه خريطة التطور في المقال المصرى ، ابتداء من الصحفى رفاعة الطهطاوى الذى يمثل بداية الالتحام بين الثقافتين ، ومروراً بكتاب هذا المقال من العلمانيين وغيرهم كالذكور يعقوب صروف الذى جعل من « المقتطف » نقطة تحول في الفن الصحفى في محاولاته الأدبية والاقتصادية والسياسية ، ومقارناته بين كتابات « سبنسر » في علم الاجتماع الإنسانى

ومقدمة ابن خلدون كما يذهب إلى ذلك د . إمام . وليس من قبيل المصادفة أن يكون جمال الدين الأفغانى ويعقوب صنوع ومحمد عبده ومصطفى كامل وأحمد لطفى السيد ومحمد حسين هيكل وطه حسين وعباس العقاد من رواد الصحافة الذين استقامت لهم طريقة تحقق فيها التوازن الصحيح بين القديم والجديد ، فاحتفظ المقال الصحفي على أيديهم بأصوله التقليدية الأساسية ولم يستعص على التطور ، فاستطاع هؤلاء بجهودهم الرائعة أن يخلقوا لغة الفن الصحفي العربى التى تقرب من لغة الأدب وتمتاز بالسلاسة والواقعية والتبسيط^(١) . ذلك أن هؤلاء الكتاب المقالين قد قبلوا من الثقافات الأجنبية الحديثة مثل ما قبل العقل العربى من الثقافات الأجنبية أيام العباسيين . واستحدثوا من الفنون ما يلائم العصر الحديث ، كما استحدث من الفنون ما كان يلائم عصر العباسيين كما يذهب إلى ذلك طه حسين . وأول مظهر لهذا هو أن المقال الصحفي على يد هؤلاء قد اتخذ اللغة العربية له لساناً ، وعرض كثيراً من الاتجاهات السياسية والثقافية والاجتماعية فى لغة عربية واضحة ، كما يعرض فى اللغات الأجنبية المختلفة .

وتأسيساً على هذا الفهم ، للاتصال الحديث بالحضارة الأوربية ، نجد أن العوامل التى طورت المقال الصحفي عما كان عليه فى صحافة النشأة فى مصر ، وتخلصته من المآحكات اللفظية قد اطردها ،

(١) د . إمام : نفس المرجع ص ٤٤ .

وتضافرت على توجيهه وجهة أخرى غير الوجهة التي رأيناها عند السلفين في صحافة النشأة . وخلاصة ما يقال فيها أن حركة التجديد في الصحافة قد وليت حركة اليقظة في أوجها عند الأستاذ الإمام . وسارت في توازٍ مع مسار الحركة الوطنية . وقد أدت هذه العوامل إلى ظهور نوع جديد من أدب المقالة ، وهو المقال السياسي ، وقد برع الكتاب في المطالبة باستقلال الشعب وإزاحة الاستعمار عن كاهل المصريين واتسعت دائرة المقال وتعددت ألوانه فظهرت المقالة الأدبية والمقالة الاجتماعية والمقالة النقدية .

وليس من شك في أن الصحافة صاحبة الحظ الوفور في نشر الأدب والعلم وإنشاء النثر الحديث ونعني بالصحافة ما يذهب إليه طه حسين ، من أن الصحافة كلها - يومية وأسبوعية وشهرية - قد استطاعت هذه الصحافة المصرية أن تؤثر في الأدب من طريق السياسة ومن السعى إلى السياسة .

الحياة السياسية

ومها يكن من شيء فقد ساعد على فعالية هذه العوامل تخطيط سياسة الاحتلال الذي وضعه اللورد «دوفرين» وطبقه «كرومر» والذي تضمن : ترك شيء من الحرية النسبية للصحف تنفيذا عما قد يعن لمحرريها من آراء وملاحظات قد تفيد منها سياسة الاحتلال - مع إغفال قانون المطبوعات ، وتحقيقاً لهذه السياسة ذهب كرومر إلى أن تكون للاحتلال صحف تؤيد بقاءه صراحة لا ضمناً وتدافع عن أعماله وترد على معارضيهِ وفي مقدوره تأييدها مادياً وأديبياً ، فأوعز إلى أصحاب «المقتطف» إنشاء صحيفة يومية سياسية تعبر عن المصالح البريطانية كما كانت «الأهرام» تعبر عن المصالح الفرنسية ، فتقدم يعقوب صروف وفارس نمر وشاهين مكاربوس إلى إدارة المطبوعات في ١٨ أبريل سنة ١٨٨٨ يرجون الترخيص لهم بإنشاء جريدة «المقطم» .

كما صدرت جريدة «المؤيد» في أوائل ديسمبر ١٨٨٩ لصاحبها السيد علي يوسف للتعبير عن مصالح المصريين عامة ، والحدوي خاصة ، ولتحدث بلسان حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية .

وإذا كان التفكير الديني عند السيد علي يوسف يجعل بعض الناس

يضمن عليه اتجاهاً سلفياً ، فإنه كان كاتباً مجدداً في المقال الصحفي تعبيراً وأسلوباً ، ذلك أنه كان يصنع « صناعته » الصحفية ليتعلمها الناس منه ، ولم يكن يتعلم تلك الصناعة على أساتذتها في الشرق والغرب ، ولا على أدوانها التي تملأها عليه كما يقول العقاد . . فالسيد على يوسف يكتب مادة « صحفية صحيحة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى » مستحدثاً في الأسلوب العربي ما يسمى بالأسلوب السياسي . بحيث يمكن القول إن مقال السيد على يوسف يضع البداية الفاصلة بين فن المقال الصحفي وفن المقال الأدبي ، فكان رائداً لمن أتوا بعده من كبار الصحفيين .

على أن المضمون السياسي في مقال على يوسف ، يمثل اتجاهاً من اتجاهات الحركة الوطنية في عهد الاحتلال ، يتجه إلى تأييد الخديو من جهة ، والدعوة إلى الرأي المحافظ من جهة أخرى ، كما يذهب إلى ذلك « تشارلس آدمس » . فالفرق بين الزعيم مصطفى كامل وعلى يوسف هو الفرق بين السياسة القومية وسياسة القصر والحاشية الخديوية ، أو الفرق بين الخطيب المنطلق والكاتب الحصيف ، على حد تعبير العقاد .

وتأسيساً على هذا الفهم نتلمس اتجاهين إلى جانب هذا الاتجاه المحافظ غلباً على الحركة الوطنية في عهد الاحتلال ، اتجاه حماسي متطرف في عداوته للاحتلال وآخر معتدل لا ينكر التعاون مع الإنجليز والسير معهم لتحقيق المصلحة العامة للبلاد ، ورأى يقول إنه لا أمل في

الإصلاح الحقيقي إلا بزوال الاحتلال ، وآخر يقول إن الإصلاح الحقيقي الداخلى هو وسيلة الجلاء^(١) ، وكان على الاتجاه الأول والرأى الأول مصطفى كامل وشيعته ، وعلى الاتجاه الثانى جماعة من الأعيان المصريين وبعض « حصفاء » الثورة العربية^(٢) الذين شهدوا تذبذب السياسة الفرنسية والسياسة العثمانية قبل الاحتلال فاستقاموا على الطريق الممهد لهم من تزويد الأمة بعدة العلم والإصلاح الداخلى .

وفى الاتجاه الثانى - الاتجاه المعتدل - سارت « الجريدة » التى صدرت فى ١٩٠٧ محررها لطفى السيد فحملت عبء الدفاع عن الرأى الذى يقول إن الإصلاح الداخلى بالتعاون مع الاحتلال هو أقوم السبل إلى تحقيق الاستقلال ، كما سار فيه غير أصحاب الجريدة ممن تفاوتت درجات اعتدالهم وتعاونهم مع الاحتلال وآمالهم فى الإصلاح . فى حين دعا مصطفى كامل إلى وضع حد للاحتلال البريطانى ، ورأى إمكان تحقيق ذلك بمساعدة دولة ثالثة ، وهى إما فرنسا الخصم التقليدى لإنجلترا فى الشرق الأدنى ، أو السلطان العثمانى . واعتقد أيضاً أن مصر أمة واحدة ، لكنها جزء من عالم أكبر لا بل من عدة عوالم : العثمانى والمسلم والشرق ، كما اعتقد أنه عليها أن توطد علاقاتها مع كل من هذه العوالم

(١) أحمد أمين : زعماء الإصلاح ص ٣١٣ - آدمس : الإسلام والتجديد ص ٢١٠ -

د . النجار : الجريدة ص ٨٠ .

(٢) العقاد : سعد زغلول .

الثلاثة (١)

وقد نشر هذه الأفكار خطابة وكتابة ، فكان خطيبا مفوها وصحفيا ناجحا ويعزى إليه الفضل في إنشاء ثاني صحيفة مصرية في سنة ١٩٠٠ هي صحيفة « اللواء » بعد أن كان السيد على يوسف قد أنشأ « المؤيد » في ١٨٨٩ ، حين كانت معظم الصحف بأيدي السوريين^(٢) . كما أصدر « اللواء » في طبعتين : إنجليزية وفرنسية . وأكسبته أفكاره وبلاغته وصحفه نفوذاً لدى الشباب المثقف ، على أن ما أكسبه النفوذ السياسي المباشر هو تأييد الخديو له وصلته به . ذلك أن عباس حلمي بخلاف سلفه توفيق ، الذي حماه الإنجليز من الثورة وثبتوا عرشه ، فكان عن ضرورة وعن ضعف ، آلة طبعة في يد كرور ، أما عباس فكان شاباً يكره الانتثار بأوامر رجل مسن ، ويرغب في أن يحكم بنفسه . ولكن إنجلترا تذرعت بصغر سنه ونادت صحفها بأن ارتقاء الخديو الشاب عرش مصر يجعل بقاء الاحتلال أكثر ضرورة من أى وقت ، فلا يجوز منذ الآن الكلام عن الجلاء^(٣) . ووجد عباس في مصطفى كامل أداة مفيدة للحد من سلطة كرور ، كما وجد فيه مصطفى كامل وسيلة لتحقيق غايته الوطنية ، وظن « كل منها أنه يستخدم الآخر »^(٤) . إلا أن هذا التحالف أخذ

(١ و ٢) ألبرت حوراني : الفكر العربي في عصر النهضة ص ٢٤٥

(٣) البول مول جازيت عبد الرحمن الرامى : مصطفى كامل ص ٢١٤ .

(٤) حوراني : نفس المرجع ص ٢٤٣ .

يضعف تدريجياً ببرز نقاط الضعف في هذه السياسة . فانخذال فرنسا في فاشودة في ١٨٩٨ ، والاتفاق الودي في ١٩٠٤ ، جعلاً من الصعب التصديق أن بإمكان فرنسا دعم الوطنيين في مصر^(١) . فاتجه الخديو بعد سنة ١٩٠٤ في اتجاه التقرب من الإنجليز ، إذ أصبح ذلك في الإمكان بعد عزل « كرومر » و « بجي » « غورست » خلفاً له . وكان مصطفى كامل قد انتهى إلى الاعتقاد بأن اهتمام الخديو عباس بسلطته الخاصة كان أشد من اهتمامه باستقلال مصر^(٢) .

على أن نمو طبقة الطلاب قد أتاح لمصطفى كامل مجالاً واسعاً للخطابة والكتابة ، كما أن حادث دنشواي قد فجر الشعور بالمقاومة الوطنية وترك « في الشعور العام تأثيراً عميقاً »^(٣) على نحو ماصورة قاسم أمين أبلغ تصوير : « ولكن هذا الإخاء في الشعور بقي مكتوماً في النفوس لم يجد سبيلاً يخرج منه فلم يبرز بروزاً واضحاً حتى يراه كل إنسان » . ولم يلبث هذا الشعور العام بالإضافة إلى تخفيف شدة الرقابة تنفيذاً لتوصية دوفرين ، أن ظهرت آثار ذلك جميعاً في ازدهار المقال الصحفي وارتباطه بالرأي العام ، الذي غدا بدوره ظاهرة لفتت كتاب المقال وعنوا بتعميقه وتطويره ، وذهب لطفي السيد إلى أن « الرأي العام للأمة إذا لم يكن منطبقاً على الحق والعدل في ذاتها فإنه على الأقل منطبق على

(١ و ٢) حوراني : نفس المرجع ص ٢٤٣ .

(٣) أحمد أمين : حياته ص ٧٩ .

الحق والعدل على الوجه الذى به تفهمها الأمة وتحتملها^(١) . ذلك أن
الرأى العام فى مصر منذ عصر إسماعيل . قد ضعف و لحداته سنة من
جهة ، ولقوة الحكومة الظالمة من جهة أخرى . إلا أن ضعفه لم يمنعه من
التمسك والارتقاء يوماً فيوماً ، تبعاً لقواعد الرقى التدريجى . فكانت كل
حادثة من الحوادث السياسية ، من شأنها أن تقوى ساعده وتسد عضده
للبقاء ، حتى صار اليوم على ما نراه عليه^(٢) ، فالمصريون من يوم أن
بدأوا التعليم على الطريقة الغربية ، أخذوا يطمعون فى حكومة دستورية
متمدنة ، وأخذوا يندمرون سراً من احتكار الشراكسة للوظائف
العسكرية ، حتى بلغ الرأى العام أشده إبان الثورة العربية التى انتهزها
الإنجليز سبباً لاحتلال مصر^(٣) .

أما ظهور هذا الرأى العام ظهوراً جلياً أمام أعين الأوربيين ، فإنه
لم يتبدئ إلا مع حرية الصحافة المصرية ، التى لم تنتشر إلا فى عهد
الاحتلال ، وصار انتشارها أعم فى أزمنة سياسة الخلاف بين الإنجليز
والقصر . وينكر لطفى السيد أن الصحافة المصرية خلقت رأياً عاماً
كاذباً ، كما يزعم كرومر^(٤) . « فماذا كان ذنب هذه الصحافة المصرية ،
التي هى البقية الباقية للمصريين من ميراث الحرية الذى ورثوه عن
أبويهم : آدم وحواء ؟ »^(٥) .

(١ و ٢ و ٣) أحمد لطفى السيد : « الرأى العام » - الجريدة فى ١١ يولييه ١٩٠٨

(٤ و ٥) المرجع السابق .

على أن اتجاهات الرأي العام في تلك الفترة تصبغ الوطنية بصبغتين متميزتين مختلفتين ، إحداهما تتجه إلى الجامعة الإسلامية^(١) وتتمسك بالرابطة العثمانية^(٢) . والثانية تتجه إلى ما عرف حينذاك بالجامعة المصرية وهو الاصطلاح السائد في ذلك الوقت للتعبير عن القومية المصرية^(٣) ، وكانت فكرة ناتئة لم تبلور بعد في الأذهان . انتقلت إلى مصر مع ما انتقل إليها من الغرب ، متأثرة في ذلك بالاتجاهات القومية التي سادت في أوروبا في القرن الماضي^(٤) . وقد اختلطت الفكرتان اختلاطاً شديداً ، منذ البداية ، فقد أصر الطهطاوى على وجود ولاهين : الأول تجاه من يدينون بالدين الواحد ، والآخر تجاه المواطنين ، كما في دولة الفقهاء الإسلامية المثل^(٥) . لكن فكرة « الوطن » الفرنسية كانت قد انتصرت في مصر بعد وفاته ، في رحلة البحث الحديث عن الوطن المصري ، وكان من مظاهر انتشارها إنشاء إحدى الصحف الكبرى الأولى في سنة ١٨٧٧ باسم « الوطن » وعندما وضع حسين المرصني كتاباً في ١٨٨٩ ، لشرح « بعض المفردات الشائعة

(١) الجريدة في أول سبتمبر ١٩١٢ - المتخبات ج ١ ص ٣٠٨ .

(٢ و ٣ و ٤) م . محمد حسين : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر المقدمة

ج - الدكتور حسين فوزي النجار : مرجع سابق .

عُرِّبَ المقطع عبارة Nationalism في تقرير كرومر ١٩٠٦ بعبارة الجامعة الوطنية المصرية

واستعملها لطف السيد في كل كتاباته .

(٥) ألبرت حوراني : مرجع سابق ص ٢٣٥ .

على ألسنة الناس ، أدخل كلمات : « الوطن » و « الأمة » في عداد تلك المفردات كالحرية والعدالة والظلم والسياسة والحكومة والتربية ، حسب مفاهيم عصره . فللأمة مثلاً في مفهومه ، معنى أوسع بكثير من المعنى الدينى^(١) . ومن ذلك ما أخذهُ الأستاذ الإمام على عرابي من « جهل الحقيقة معنى الكلمات التي كان يستعملها » ويتجلى الخلط بين الدين والقومية حين تقابل بين مقالات محمد عبده المبكرة ومقالاته خلال تلك الفترة التي لعبت فيها الصحافة التوجيهية دوراً مهماً في الحياة السياسية المصرية ، وبرزت « شخصية الصحفي السياسي كشخصية رئيسية في العصر الحديث ، وهو الذي عني خصوصاً لا بنشر الآراء فحسب بل بمهارته في استعمال اللغة ، بإثارة المشاعر الجياشة »^(٢) .

على أن مفهوم القومية المصرية لم ينفصل تماماً عن الجامعة الإسلامية ، إلا بعد الحرب الأولى وانهيار الإمبراطورية العثمانية ثم سقوط الخلافة بعد ذلك ، ذلك أن هذا الانفصال لم يتم إلا تدريجياً بعد أن أخذت معالمه تنمو وتتضح منذ بداية القرن العشرين^(٣) .

ومن ذلك يبين أن العلاقة بين الصحافة والرأى العام ، قد لعبت دوراً أساسياً في تجديد مفهوم القومية المصرية ، فلم تظهر « الأحزاب

(١) ألبرت حوراني : مرجع سابق ص ٢٣٥ .

(٢) ألبرت حوراني : مرجع سابق ص ٢٣٦ .

(٣) م . محمد حنين : مرجع سابق ص ٦٣ - ٦٤ .

السياسة المنظمة « إلا من دور الصحف كتجسيد مادي لأرائها التي كانت تدافع عن قضية البلاد . فتأسس الحزب الوطني ليجسد آراء واتجاهات صحيفة « اللواء » كما جسد « حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية » اتجاه « المؤيد » وخرج « حزب الأمة » أساساً من « الجريدة » وكان لطفى السيد مديرها وسكرتير الحزب هو المعبر الحقيقي عن آرائه .

ونخلص من ذلك إلى أن المحور القومي في الحياة السياسية ، وتحديد مفهوم القومية المصرية ، من أهم الأمور في تطور المقال الصحفي في مصر ، كما ارتبط ظهور المقال الصحفي الأوربي بظهور القوميات المنسلخة عن العالم المسيحي الموحد ، بحيث يمكن القول إن حركة الانفصال عن الخلافة العثمانية من أهم العناصر في تحديد مفهوم المقال الصحفي في مصر .

الحياة الفكرية

وتأسيساً على هذا الفهم ، نجد المقال الصحفي في بيئة التجديد ، مرتبطاً بالبيئة المصرية وما يضطرب فيها من حبات ، بحيث بدت القاهرة حينئذ أشبه ما تكون ببرج بابل ، على حد تعبير العقاد ، تعج بدعوات من كل لون ، ولكن هذه الصورة ترتبط من الوجهة المصرية بالأستاذ الإمام محمد عبده ، الذى ذهب فى توجيه النهضة القومية بعد عودته من المنفى إلى وجهة تتفق مع مذهبه فى الحياة ، وهى وجهة « لا يشغلها الغرض القريب عن الغرض البعيد ، ولا ييشها الأمل الضائع أن تصمد للأمل الذى لا يضيع »^(١) فلا معول للأمم فى جهادها - لديه - أنفع وأصدق فى المضى بها إلى غايتها من العام الحى والتربية القومية . وكان يقول للمقربين لديه من مريديه : لو كان فى هذه الأمة مائة رجل لما استطاع الإنجليز أن يحكموها ، ولما أدركوا منها أرباباً فى حكمهم إياها ، وإنما الرجل عنده صاحب الفكر البصير والخلق المكين : صاحب الكفاءة الذى إن وجد فى الأمة قادها لا محالة ، ولم يتمكن أجنبى ذو سطوة أو ثروة أن يتنازعه على قيادها^(٢) .

١ (١ ، ٢) العقاد : محمد عبده ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

ويلخص لنا هذا القول اتجاه الإمام وأثره في التربية الوطنية ،
وسبب انصرافه إلى حصر نشاطه في تلك الدائرة التي ارتضاها لنفسه وهي
تزعم حركة الإصلاح الديني والاجتماعي ولم يتعداها إلى خارجها ولم يرد
أن يكون صاحب رأى مباشر في الحياة السياسية إلا من خلال مذهبه
الاجتماعي والصحافة التربية وتربية القادة^(١) . ويبين هذا الأثر الفكري
من تمثّل كتاب الجريدة لأفكار الإمام واتجاهاته ، فقال عنهم كرومر في
تقرير ١٩٠٦ « إنهم من أتباع الشيخ محمد عبده » وقال عنهم غيره إنهم
من تلامذته ورواده . ومما يكن من شيء فقد اتجه كتاب « الجريدة »
إلى تعقيل الحياة وتخليصها من عناصر الخرافة وما إليها ، واتسمت هذه
الدعوة بإعادة النظر في الإصلاح المصري على أساس جديد ، هو العقل
من ناحية ، والمنفعة الذاتية لمصر وحدها من جهة ثانية .

على أن هذه الدعوة لا يمكن أن تفصل عن الفكرتين اللتين سادت
البيئة المصرية في هذه الفترة ، وهما : فكرة الحضارة الأوربية من جهة
وفكرة الجامعة الإسلامية من جهة ثانية ، وذلك بعد أن تركت كل من
هاتين الفكرتين آثاراً عميقة في الرأى العام المصري ، والحياة العامة
المصرية ، فأصبح « التعقيل » اتجاهاً ثقافياً وفكرياً لخطّة الأستاذ
الإمام ، نهض به لطفى السيد ورسم به مدرسته ، قامتازت الحركة الأدبية
والفكرية في مصر - في النصف الأول من القرن العشرين - بميل حقيقى

(١) العقاد : محمد عبده ص ١٨٥ و ١٨٦ .

للتعقيل ، وإيثار لجانب التفكير ، وبغية عن مسaire العواطف .
ومن جهة أخرى فقد أبرز لطفى السيد نموذجاً جديداً يضاف إلى
النموذج العربى الإسلامى ، وهو نموذج الفكر اليونانى وترجم لأرسطو ،
وأردف ذلك بنقل فكرة الديمقراطية إلى الحياة المصرية . وغنى عن
البيان أن نقول إن النهضة الأوربية الحديثة قامت على هذا النموذج
اليونانى ، وفي أحضان هذه النهضة ولدت المقالة الأوربية على يد
« مونتاني » فى فرنسا و « بيكون » فى إنجلترا وهما فيلسوفان عقليان .
ولعل فى ذلك ما يعلل اتجاه طه حسين إلى تأثر العقل المصرى بالبحر
المتوسط منذ عصوره الأولى ، وإن العقل المصرى قد اتصل بالعقل
اليونانى ، اتصال تعاون وتوافق .

ومها يكن من شأن الاختلاف فى جدوى الخطتين : السياسة
أو التعليم فى القضية المصرية ، فليس هناك خلاف فى رجحان كفة العلم
على كفة السياسة ، ولا سيما أن الجيل الذى أثمرته خطة التعليم ، كان هو
نفسه الجيل الذى نهض بالسياسة من بعد ، ومضى بمصر فى جهادها
للظفر بالاستقلال والدستور والحرية .

ولذلك لم يرض كرومر عن فكرة إنشاء الجامعة المصرية ، وأحصى
لطفى السيد هذا الموقف من سيئات كرومر التى تندبها ، ذلك أن الاهتمام
بالتعليم عامة ، كان نعمة من نعم الوعي القومى الجديد وثمره من ثمار
الحركة الوطنية فى شتى مظاهرها واتجاهاتها ، وذلك ما يعبر عنه قاسم أمين

بقوله : « إن الوطنية الصحيحة لا تتكلم كثيراً ولا تعلن عن نفسها » ثم قوله « نطمع في أن نرى بين أبناء وطننا طائفة تطلب العلم حباً للحقيقة وشوقاً إلى اكتشاف المجهول ، فئة يكون مبدؤها التعلم للتعلم ، نود أن نرى من أبناء مصر ، كما نرى في البلاد الأخرى ، عالماً يحيط بكل العلم الإنساني ، واختصاصياً أتقن فرعاً مخصوصاً من العلم ووقف نفسه على الإمام ، بجميع ما يتعلق به ، وفيلسوفاً اكتسب شهرة عامة ، وكاتباً ذاع صيته في العالم ، وعالماً يرجع إليه في حل المشكلات ويحتج برأيه . أمثال هؤلاء هم قادة الرأي العام عند الأمم الأخرى ، والمرشدون إلى طريق نجاحها ، والمديرون لحركة تقدمها ، فإذا عدتهم أمة حل محلهم الناصحون الجاهلون والمرشدون الدجالون » .

ولقد صدق تنبؤ قاسم أمين للجامعة المصرية ، فكان أول خريجها هو الدكتور « طه حسين » الذي أصبح فيما بعد « كاتباً ذاع صيته في العالم » ، الأمر الذي يجعلنا نذهب إلى أن تصور تلاميذ الإمام للجامعة المصرية ، قد أكد ثمار إيثاره خطة التعليم في خدمة قومه على خطط خصومه المشغولين بسياسة الصحف والأحزاب^(١) ، ذلك أن الجامعة بيئة للثقافة بأوسع معانيها وللحضارة بأوسع معانيها أيضاً ، كما يذهب إلى ذلك طه حسين في « مستقبل الثقافة في مصر » وهي البيئة التي تمثلها في تكوينه ، فلم يكتف بأن يكون « مثقفاً بل يعنيه أن يكون مصدراً

(١) العقاد : محمد عبده ص ٢٦٤ ، ٢٩٩ .

للثقافة « ، ولم يكتف بأن يكون « متحضراً بل أن يكون منمياً
للحضارة « وفي ذلك ما يشير إلى تفاعل الفرد مع البيئة ، والاتجاه بالمقال
الصحفي القائم على التعقيل حين يغدو مصدراً للثقافة ومنمياً للحضارة .

الحياة الاجتماعية

شهدت البيئة المصرية في مطلع هذا القرن بوادر الانقلاب الاجتماعي ، التي ترتبط بالحياة الفكرية والاتصال بالغرب واتجاهات الأحزاب السياسية والتي تتمثل في اتجاهين : الأول يدعو إلى عدم فصل الدين عن الدولة ، كما يتضح من مبادئ الحزب الوطني ، ويدعو الاتجاه الثاني إلى عدم اختلاط الدعوة الوطنية بالترعة الدينية ، كما يبين من مبادئ حزب الأمة . ومن ثم دعا ممثلو هذا الاتجاه في إطار من تعقيل الحياة المصرية إلى فصل الدين عن الدولة ، وتحرير المرأة ، وفض الحجاب عنها . وفي مقدمة الداعين إلى ذلك قاسم أمين أحد تلاميذ الأستاذ الإمام الذي ينطلق كتابه « تحرير المرأة » سنة ١٨٩٩ من مسألة ، تأخر المصريين عن اللحاق بالأمم المتقدمة ، ويذهب إلى أنها إذا بقيت على ضعفها فلن تتمكن من البقاء في عالم تسوده قوانين « الانتقاء الطبيعي » وفقاً لمفهوم الدارونية ويذهب إلى أن أسباب هذا التأخر لا ترجع إلى البيئة الطبيعية ، إذ قامت في بعض العهود مدنيات مزدهرة في هذه البلاد ذاتها ، كما أنها لا ترجع إلى زوال القوة الاجتماعية أو القيم المعنوية ، ومرجع ذلك إلى الجهل بالعلوم الحقيقية التي تمكن من

استنباط قوانين السعادة البشرية . ويبدأ هذا الجهد في الأسرة ،
 فالعلاقة بين الرجل والمرأة ، والأم وابنها ، إنما هي أساس المجتمع ،
 فالفضائل القائمة في الأسرة هي ذاتها الفضائل التي تستمر في المجتمع ،
 وعلى ذلك فإن دور المرأة في المجتمع هو « إصلاح أخلاق الأمة » .
 ومن ذلك يبين أن جوهر القضية الاجتماعية كما يصوره قاسم أمين هو
 مركز المرأة . وهذا المركز في مجتمع تقليدي وارث لعصور الانحطاط
 لا يتحسن إلا بالتربية ، كما أنه لا يمكن المرأة أن تمارس حقوقها وتقوم
 بدورها في المجتمع من وراء حجاب ، إذ أن المرأة لا تكون كاملة ما لم
 تصرف بنفسها ، وتتمتع بالحرية التي منحها إياها الشريعة وما لم تتم
 طاقاتها إلى أقصى الحدود .

وتصور العاصفة الشديدة التي قوبلت بها أفكار قاسم أمين في
 الصحف ، رد الفعل التقليدي الذي ذهب إلى مهاجمة نظريته في
 الكتب والمقالات . في حين ذهب بعض الكتاب إلى تأييد هذه
 النظرية ، ولم يلبث قاسم أمين في سنة ١٩٠٠ أن أصدر كتاب « المرأة
 الجديدة » ليرد على معارضيه بأسلوب أكثر جدلية من أسلوب الكتاب
 الأول ، مستنداً إلى الفكر الاجتماعي الأوربي الحديث في تطوير المجتمع
 المصري ، تأسيساً على أن حرية المرأة هي أساس جميع الحريات الأخرى
 ومعيارها . ذلك أن حقوق المرأة قد « تطورت مع تطور المجتمع
 البشري » .

ولم تلبث هذه الرؤية الاجتماعية الجديدة أن شغلت أذهان الشباب الذين ذهبوا إلى التفكير في الأمر جدياً ، يرى فيه أكثرهم مروقاً من الدين وتمهيداً للإلحاد ، ويرى بعضهم أنه حق ، وأنه الوسيلة الوحيدة لخلق شعب حر بدرك الحياة إدراكاً صحيحاً ، كما أنه « العدل كل العدل ألا تحرم المرأة من نور الحياة ومن نور العلم الذي يزيد لها للحياة إدراكاً وتقديراً صحيحاً » ، كما يقول د . هيكل .

ولم تلبث هذه البادرة القومية - كذلك - أن تمخضت عن معناها العمل الدائم ، الذي شوهه في واقع الحياة المصرية بعد ذلك وبرزت حقيقته في كل مهمة تتطلب الرجال العاملين من المفكرين المؤمنين بفريضة الإصلاح ورسالة التقدم . فقد أعاد هؤلاء وغيرهم من تلاميذ الإمام إلى العقل المصرى المستنير ، الثقة بعقيدته في هذا العصر الحديث ، ورفعوا من طريقه إلى العمل عقبات المجتمع التقليدى : الجمود والخرافة والتقليد . لأنهم زودوه على قواعد دينه بفلسفة الحياة التى يقابل بها « فلسفات الغرب المتسلطة عليه من جهة السطوة أو من جهة الإيمان بالعقائد والآراء - كما يقول العقاد - فأخذ المجتمع المصرى في طريقه إلى التطور من القديم والحديث ما ساغه ذوقه ، وأحسن بنفعه العام له ، وظل القديم الصالح يعمل عمله ، وكمن ما تصور البعض أنه غير صالح في إطوار المجتمع ، ولم تنعدم وظيفته انعداماً تاماً ، ومن هنا تحول التليد والطارف إلى ما يشبه الصراع النفسى في أطواء الوجدان

الشعبى ، وفى مكنون الوجدان الفردى معاً ، كما يقول د . يونس ، فقد صور الأدب الفصيح والشعبى ، كما صورت الصحافة المصرية تطور هذا الصراع .

وإذا كان الكيان الاجتماعى فى مطلع هذا القرن كما صورہ الأستاذ الإمام ، يقوم فى لبابه على « فلسفة أخلاقية »^(١) فإن ذلك لم يكن سهواً عن عمل التجارة والصناعة ، ولا عن عمل النظام العادل فى سياسة الناس ، ولكنه كان يعتقد أن الجهل فقر أشد على الناس من فقر المال ، فليست بلادنا كما يقول الأستاذ الإمام « بلاد الجوع القتال ، ولا بلاد البرد القارس المميت ، ولا بلاد الشقاء التى لا ينال الإنسان فيها قوت يومه إلا بالعذاب الأليم ، بل نحن فى بلاد رزقها الله سعة من العيش ، ومنحها خصوبة وغنى يسهلان على كل عائش فيها قطع أيام الحياة بالراحة والسعة . ولكن بالأسف منيت مع ذلك بأشد ضروب الفقر : فقر العقول والتربية »^(٢) .

ونخلص من هذه الصورة لبيئة المقال الصحفى فى مصر ، والتى استوحيناها مما ترسب فى العقل من القراءات المتعلقة بالحيات السياسية والفكرية والاجتماعية إلى أن هذه البيئة قد أثرت فى توجيه المقال الصحفى فى مصر وجهة جديدة ، يلتقى فيها التيار الحديث بالتيار القديم لتكوين العقل المصرى الجديد الذى يتوصل بهذا المقال .

(١ ، ٢) العقاد : نفس المرجع ص ٢٩٨ .

ففي هذه البيئة عاش رواد التجديد مرحلة التكوين العقلي والفكري على اتصال باتجاهات التجديد ، وبامتداد التيار الغربي حيث أذنت البيئة المصرية بتقبل آثاره ، ولم يعد أمام هذا الجيل من الشباب إلا أن يتسلم زمام القيادة للاتجاهات الجديدة ، وطبع التيار الوافد بطابع بيثهم وجيلهم . ذلك أن أبناء هذا الجيل برغم بريق الرومانسية القومية وشعورهم بالإياء دفاعاً عن النفس ، وبحبهم العميق في مقومات الشخصية المصرية ، كانوا يقررون بوجه عام « أن الحضارة الأوربية أرقى حضارات العالم » ولكنهم مع ذلك كانوا يعتقدون أن مصر الحديثة ليس في مقدورها إنشاء نظام سياسي ديمقراطي ليبرالي ، يتبنى قيم هذه الحضارة ، إلا إذا كانت مستقلة .

وفي ذلك ما يشير إلى إجماع أبناء هذا الجيل بعد الثورة القومية في سنة ١٩١٩ ، على اتخاذ موقف عام من السياسة والمجتمع ، وهم القادة المقالون الذين تسلموا قيادة الرأي العام من الجيل الذي تتلمذوا عليه ، وكانت ثقافتهم الأوربية (إنجليزية أو فرنسية) لا تقل في عمقها عن ثقافتهم العربية التقليدية ، الأمر الذي هبأهم لقيادة الرأي العام من خلال المقال الصحفي قبل غيره من فنون القول ، فقد عبروا عن أفكارهم في معظم الأحوال على صفحات الصحف اليومية ، والمجلات الأسبوعية والشهرية .

ومن ذلك بين الخط البياني لأثر البيئة العامة في مقالات رواد

التجديد وتعرفهم على مقومات الشخصية المصرية ، فكانوا في مطلع هذا القرن « مقصورين على أنفسهم لا يكادون يتجاوزونها »^(١) في حين يتقلون بعد ثورة ١٩١٩ بالفكر المصرى إلى طور جديد يسميه طه حسين طور « الحياة العالمية لمصر » وهو الطور الذى يتمثل مقومات البيئة المصرية بعناصرها الثلاثة : العنصر المصرى الخالص الذى ورثناه عن المصريين القدماء على اتصال الأزمان بهم وعلى تأثيرهم بالمؤثرات المختلفة التى خضعت لها حياتهم . والعنصر العربى الذى يأتينا من اللغة ومن الدين ومن الحضارة والذى « امتزج بهذه الحياة امتزاجاً مكوناً لها مقوماً لشخصيتها » وهذا العنصر ليس عنصراً أجنبياً ، ذلك أنه كما يقول طه حسين قد « تمصر منذ قرون وقرون ، وتأثر بكل المؤثرات التى تتأثر بها الأشياء فى مصر من خصائص الإقليم المصرى » والعنصر الأخير عنصر أجنبى تقتضيه الطبيعة الجغرافية لمصر ويأتيا من اتصالها بالأمم المتحضرة فى الشرق والغرب .

ويتفاوت تأثير هذه العناصر الثلاثة أدى كتاب المقال الصحفي فى مصر بمقدار حفظ كل كاتب منها ، فبعض آثارهم يغلب عليه العنصر العربى ، وبعضها يغلب فيه العنصر الأوروبى ، وقليل جداً منها يظهر فيه العنصر المصرى القديم .

(١) طه حسين : « مقومات الأدب المصرى الحديث » مجلة المستمع العربى ع ١٦

المقال الأدبي

والمقال الصحفي

وإذا كان عصر النهضة هو البيئة المواتية لظهور فن المقال الأدبي ، فقد كانت عصور التقدم العلمى ، والتنوير الفكرى ، وتكون الرأى العام وظهور الطبقة الوسطى التى تمتاز بعقلية واقعية ، وتهتم بمشكلات المجتمع العملية من أهم عوامل ظهور فن المقال الصحفي . . الذى يختلف - كما يذهب إلى ذلك الدكتور إمام - عن فن المقال الأدبي اختلافاً جوهرياً من حيث الوظيفة والموضوع واللغة والأسلوب جميعاً : « فالمقال الأدبي يعبر قبل كل شىء عن تجربة معينة مست نفس الأديب ، فأراد أن ينقل الأثر إلى نفوس قرائه ، ومن هنا قيل إن المقال الأدبي قريب جداً من القصيدة الغنائية ، لأن كليهما يغوص بالقارئ إلى أعماق نفس الكاتب أو الشاعر ، ويتغلغل فى ثنايا روحه حتى يعثر على ضميره المكنون ، وكل الفرق بين المقال الأدبي والقصيدة الغنائية هو فرق فى درجة الحرارة ، تلو وتناغم فتكون قصيدة ، أو تهبط وتتناثر فتكون مقالاً أدبياً » على حد تعبير الدكتور زكى نجيب محمود « أما المقال

الصحفي فيتصل أكثر ما يتصل بأحداث المجتمع الخارجية عامة ، كما يفترض وجود رأى عام يخاطبه ويتحدث إليه . أو كما يقول الدكتور إمام ، إن المقال الأدبي يدخل في اعتباره عواطف الفرد ووجدانه ، أما المقال الصحفي فيهتم بما يسمى « الوجدان الجماعى » .

وفي دائرة المعارف البريطانية إفاضة في تعريف المقالة الأدبية تحت مادة Essay (ط ١٩٢٩م ٨) : « المقالة الأدبية عبارة عن قطعة مؤلفة متوسطة الطول ، وتكون عادة مثورة في أسلوب يمتاز بالسهولة والاستطراد ، وتعالج موضوعاً من الموضوعات ، ولكنها تعالجه - على وجه الخصوص - من ناحية تأثر الكاتب به » ويرى « سوارس » في كتابه « مقدمة لدراسة الأدب » أن هناك قسمين من المقالات :

الأول : قطع إنشائية في موضوع من موضوعات العلم أو الفلسفة أو التاريخ أو النقد . وغرضها الأول عرض طائفة من « المعلومات » ، ومثل هذه المقالات قابلة لأن تكبر حتى تصبح « بحوثاً » .

الثاني : عبارة عن قطع قصيرة ، في أسلوب استطرادي ، تشتمل على وجهة نظر الكاتب فهي محاولة منه أن يسجل الآراء التي يثيرها الموضوع في فكره . والموضوعات لا تقع تحت حصر ، ولكنها يجب أن تصطبغ بانفعالات وشخصية الكاتب . ولعل مقالات « تشارلس لام » المسماة مقالات « إلبا » هي خير مثال لهذا الطراز من المقالات .

ويشتمل المقال الأدبي على : المقال الوصفي أو العرضي ، والمقال التزائي ، والمقال النقدي ، والمقال الكاريكاتيري ، والمقال القصصي ، والمقال الاعترافي . . إلخ .

أما المقال الصحفي فينقسم إلى أنواع منها : المقال الافتتاحي أو العمود الرئيسي ، والعمود الصحفي ، وفن اليوميات الصحفية . ونحن نذهب إلى أن الفصل بين المقال الأدبي والمقال الصحفي فصل تعسفي في كثير من الأحيان ، ذلك أن المقال الصحفي قد وظف فنون المقال الأدبي لأداء مهام الفن الصحفي ، وطبعها بطابعه كفن تطبيق وليس فناً تجريدياً ، وهو لذلك يقوم على أداء وظائف الإعلام والتفسير والشرح والتوجيه والإرشاد والإمتاع والتعليم والتنشئة الاجتماعية . فالمقال الصحفي مشلول عن تقديم المعلومات إلى الجماهير بصورة مبسطة مستساغة ، وخالية من التفاصيل المعقدة ، ولذلك يجب أن يكون المقال الصحفي جميل الأسلوب ، مشرق الديباجة ، متفرداً في موضوعه وهدفه ، قوياً في تعبيره عن الرأي . . وإذا كان المقال يدعو لقضية ، فلا بد أن يفعل ذلك دون إبهام ، وإذا كان يشرح أو يفسر أو يحلل فعل الكاتب أن يقدم أكثر مما يستطيع المندوب الصحفي أن يقدمه في أعمدة الأخبار ، متوسلاً بما يتميز به الفن الصحفي الحديث من تبسيط وتجسيد وتصوير ، بحيث يقدم أعقد المشكلات السياسية والاقتصادية والثقافية باصطلاحات الإنسان العادي .

(١) المقال الافتاحي

ويطلق عليه الإنجليز والأمريكيون اسم Editorial Article أو اسم Leading Article وهو المقال الرئيسي للصحيفة ، وله فن خاص به من حيث الصياغة : وأساس هذا الفن هو الشرح ، والتفسير والاعتماد على الحجج المنطقية حيناً ، والعاطفية حيناً آخر للوصول إلى غاية واحدة فقط ، هي إقناع القارئ^(١) .

كما أن كاتب المقال الافتاحي في الجرائد الكبرى مثل (التيمس) و (الهيرالد تريبيون) يكون معروفاً لدى جمهور القراء . بمعنى أنهم قد تعودوا أسلوب كاتب المقال الافتاحي الذي يجب أن يتميز بالسلاسة والبساطة والوضوح والإيناس بين الكاتب والقارئ . ولذلك نجد كاتب المقال الافتاحي - الذي لا يوقع باسمه ، معروفاً لدى جمهور القراء الذين تألفوا مع أسلوبه ، وتعودوا على فتح الصحيفة في صفحة معينة لقراءة مايكتبه كاتبهم المفضل البسيط الأسلوب والمقنع في حججه^(١) . ومن أجل ذلك وجدنا الصحف العالمية تسجل على كل صفحة من

(١ و ١) د . حمزة : المختل في فن التحرير الصحفي ص ٢١٨ .

Spencer: M. Lyle: Editorial Writing..

صفحاتها ما عدا واحدة ، ما يجرى في العالم الواسع من أحداث وما يدور فيه من أفكار وآراء . وتستبقى صفحة واحدة فقط ، وفي بعض الأحيان ، عموداً واحداً فحسب ، لتجهر بآرائها هي وأفكارها . فحق الصحيفة في الإعراب عن رأيها في الأنباء التي تنشرها أمر طبيعي جداً ، فالنبا والرأى رفيقان يظهران جنباً إلى جنب ، ذلك أن أول سؤال يبدو لأذهاننا عندما يأتينا شخص ما بأي معلومات تثير اهتمامنا هو « ما رأيك في هذا الأمر ؟ »^(١) ولذلك كانت الصحافة في أيامها الأولى تنشر الأنباء على حدة والآراء على حدة ، فتصدر إحداها في رسائل الأنباء ، والأخرى في كراسات . وكان « دانيال ديفو » هو أول من وحد بين هذين التيارين الصحفيين في مطبوعة واحدة أسماها « ذى ريفيو » أصدرها في لندن عام ١٧٠٤^(٢) .

وينسب إلى ديفو أولية كتابة ما كان يسمى بالخطاب الافتتاحي Letter Introductory وهو أول مقال حول موضوع سياسى أو اجتماعى هام تعليقاً على الحوادث الجارية يكتب بأسلوب شائق جذاب ويظهر عادة في صدر الصحيفة وكأنه خطاب رقيق لطيف من الكاتب إلى القارئ فسمى بالخطاب الافتتاحي ، وكان نواة للمقال

(١) بوند : مدخل في الصحافة ص ٢٨٩ .

(٢) د . امام : تطور الصحافة الإنجليزية ص ١٩٦ .

الافتتاحي الذي نعرفه في الصحافة الحديثة^(١) .

وقد أوحى لغة الصحافة المتطرفة في حزينتها ، الصاخبة في أسلوبها وعباراتها إلى عبقرية هذا الصحفي الفذ - « ديفو » بابتداع المقال الهادئ المترن ، الذي يمحس الآراء ويختبر الحقائق ويناقش سياسة الحكومات في هدوء وروية ، وهكذا أنشأ « ديفو » لأول مرة في تاريخ الصحافة الإنجليزية مقالات سياسية معتدلة ، ومنطقية متزنة . ثم تطور فن المقال الافتتاحي في الصحف السياسية التي اشترك فيها « ديفو » حتى بلغ مرحلة الفن الناضج الذي يقوم على أسس معينة وتقاليد محترمة . وبفضل ديفو عرفت الصحافة أن المقال الافتتاحي ليس تعبيراً عن رأى الكاتب وحده أو وجهة نظره الخاصة ، كما هي العادة بالنسبة لفنون المقال الأخرى ، بل إنه على العكس من ذلك ينبغي أن يكون تعبيراً دقيقاً عن رأى الصحيفة وسياستها كمؤسسة اجتماعية عامة . فإذا كتب رئيس التحرير مقالا افتتاحياً فلا يجوز أن يضمه رأياً شخصياً ، وإنما يعبر عن سياسة الصحيفة وموقفها العام بالنسبة للمشئون السياسية والاجتماعية . فالمقال الافتتاحي لا يمكن أن يذيل بتوقيع كاتبه وإلا كان التوقيع متعارضاً مع فكرة المقال نفسه ووظيفته كتعبير عن السياسة العامة للصحيفة ، لا رأى الكاتب وحده^(٢) .

وتأسيساً على هذا الفهم لوظيفة المقال الافتتاحي ذهبت الصحافة

(١ و ٢) د . إمام : تطور الصحافة الإنجليزية ص ١٩٦ .

الحديثة إلى تخصيص صفحة للافتتاحيات ، تجعلها مؤلفة من آراء الصحيفة نفسها ، معبراً عنها قولاً في افتتاحيات ، ورسمياً في صورها الكاريكاتورية ، وكذلك من آراء الآخرين . وقد تكون هذه الآراء الخارجية هي أفكار قراء الصحيفة ترد إليها على الطريقة المعروفة « رسائل إلى المحرر » أو مقتطفات موجزة من أعمدة الراى المنشورة في صحف أخرى ، تنقلها تحت عنوان مثل « من أقوال الصحف » مثلاً^(١) .

ويتحمل كتاب الافتتاحيات مسئولية كبرى تجاه الجمهور ، إذ يتحتم عليهم أن يكونوا من ذوى الاطلاع الواسع ، وأن يجعلوا من أنفسهم اختصاصيين في الموضوعات التى يكتبون فيها ، وأن يكونوا منصفين فى الآراء التى يكونونها أو يعبرون عنها ، فليس هناك فى هذه الأيام إنسان واحد يستطيع أن يقتدى بفرنسيس بيكون « يجعل المعرفة كلها ملك يديه » . على أن الأمر كما يقول جافرى بارسوتر عند ما كان المستشار الرئيسى لجهاز تحرير الافتتاحيات فى صحيفة نيويورك هيرالد تريبيون ، هو ما يلى :

« كلما ازداد أساس المعرفة عند الكاتب متانة ازدادت قدرته على استنهاض الفكر فى أى موضوع . فإن كاتب المقال الافتتاحى المجيد يخاطب من الناس عدداً أضخم بكثير مما توصل إليه أى مدرس أو فيلسوف أو ناقد إطلاقاً . . . وليس كثيراً عليه أى قدر من المعرفة ،

(١) بوند : مدخل فى الصحافة ص ٢٨٩ ، ٢٩١ .

إذا كان عليه أن يستوقف انتباه جمهوره .

وإدراكاً لهذه الأهمية ، ذهب علماء الاجتماع إلى القول : إن الظروف والأحداث التي تمر بالإنسان والتغيرات التي تطرأ على المجتمع لا يمكن أن يكون لها دلالة ما ، أو يكون لها في كيان الفرد أو المجتمع أثر ما إلا إذا وعاهها الفرد وأدركها وقدرها وكيفها فإذا لم يحدث من ذلك شيء ظلت هذه الظروف والأحداث والتغيرات بعيدة عن وجدان الناس ، بل أصبحت وهمى في حكم العدم^(١) .

وينعكس أثر هذه المعرفة التي يحصلها كاتب المقال الافتتاحي على ما يكتبه تحليلاً للأخبار وماوراءها ، وعما يحمل كل خبر منها من مغزى . وبهذه الطريقة يستطيع الأفراد كما تستطيع الجماعات أن تحل مشاكلها التي تعرض لها ، سواء أكانت هذه المشكلات نفسية ، أم اقتصادية ، أم سياسية ، أم اجتماعية ، ويكون الفضل في ذلك راجعاً إلى الصحافة ، أو إلى ذلك الكاتب الذي انبرى للكتابة في الوقت المناسب وأخذ يزرع بنفسه في تلك المشكلات ، وإن لم يكن من الأفراد الذين تناولتهم كل مشكلة منها ، أو اشتركوا في إحداها على أية صورة من الصور . وقد لا يشعر أصحاب هذه المشكلات التي أحاطت بهم وأصبح لها أثر في حياتهم ، وذلك لانعدام الوعي من جهة ، وعجزهم عن تصور حياة

(١) د . حمزة : للنخل ص ٢٢٦ .

أفضل ، أوحالة أحسن من جهة ثانية^(١) .

وفي ذلك ما يؤكد مسئولية كتاب المقال الافتتاحي كصاغة للرأى العام . الأمر الذى تشهد به لهجة القواعد والمبادئ التى نسقها وانتهجها المؤتمر الوطنى لكتاب الاقتراحات فى الولايات المتحدة . فقد جاء فى فذلكة هذه القواعد « أنه يجب على كاتب المقال الافتتاحي ، إذا كان يتوخى الأمانة لمهته ومجتمعه ، أن يجد في أثر الحقيقة أنى أدى به المطاف » .

وفىما يلى النقاط الأساسية لهذا القانون :

- ١ - يجب على كاتب المقال الافتتاحي أن يعرض الحقائق بأمانة واكتمال .
- ٢ - يجب له أن يخلص من الحقائق التى يوردها إلى نتائج موضوعية وأن يدعمها بالبيانات ، وأن يقيمها على مفهوم الخير الأعم .
- ٣ - يجب عليه ألا يكون مدفوعاً أبداً بمصلحة شخصية .
- ٤ - يجب عليه أن يدرك أنه ليس معصوماً من الخطأ ، وأن يفسح مجال القول لمن يخالف رأيه ، فى عمود رسائل القراء وغير ذلك من الوسائل الملائمة .
- ٥ - يجب عليه أن يعيد النظر فى استنتاجاته الخاصة وأن يصححها ، إذا وجدها مرتكرة على مفاهيم خاطئة سابقة .

(١) د . حمزة : المنخل ص ٢٢٧ .

٦ - يجب أن يكون من الشجاعة بحيث يصمد لما يقتنع به على أسس متينة ، وألا يكتب أبداً أى شىء ضد ضميره . وعندما تكون صفحات الافتتاحيات نتاج أكثر من ذهن واحد ، فإن الوصول إلى رأى جماعى صديد لا يتم إلا عن طريق الآراء الفردية السديدة ، لذلك ينبغى احترام الآراء الفردية الصادرة عن تفكير .

٧ - يجب عليه أن يؤازر زملاءه فى تمسكهم بأعلى مستويات الاستقامة المهنية .

ونتيجة لهذه الأهمية التى أحرزها المقال الافتتاحى منذ نشأة الصحافة ، فقد احتل الصفحة الأولى من صفحات الجريدة ، بحيث يكون أول شىء يطالعه القراء فيها . ولم يترشح المقال الافتتاحى عن مكانه الممتاز فى الصفحة الأولى إلا فى وقت قريب - أى منذ انحازت الصحافة الحديثة فى الفترة الأخيرة إلى الخير ، وقلت عنايتها نوعاً ما بالمقال .

وليس أدل على أهمية المقال الافتتاحى منذ نشأة الصحافة من أن كتاب هذا المقال كانوا ولا يزالون - نوابغ الصحافة فى كل أمة من الأمم ، بل فى كل فترة من فترات التاريخ كما يذهب إلى ذلك أستاذنا المرحوم د . حمزة .

ففى الصحافة المصرية كان يكتب المقال الافتتاحى للمجلة أو الصحيفة أمثال : محمد عبده ، وأديب إسحق ، وعبد الله النديم ،

وإبراهيم المويلحي ، والسيد على يوسف ، والزعيم الشاب مصطفى كامل ، وأحمد لطفى السيد . وعبد القادر حمزة ، وأمين الرافعى ، وإبراهيم المازنى ، وحسين هيكى ، وغيرهم من أساطين الأدب والفكر والصحافة جميعاً .

وفى الصحافة الإنجليزية وجدنا المقال الافتاحى مكتوباً بأقلام « ديفو » و « أديسون » و « ستيل » و « جونسون » و « ويلكر » و « سوفت » وغيرهم .

وقد أصبح للافتاحية فى الجريدة المعاصرة صيغة صحفية مميزة ، وأقرب الكتابات إليها هو المقال ، إلا أن الفرق بينها هو أن الافتاحية موجزة وذات طبيعة معاصرة . أما المقال فهو اليوم على قدر من الازدهار ويسر المطالعة مثله يوم خطه قلم الكاتب لأول مرة . فهاكتبه « أديسون » أو « ستيل » فى القرن الثامن عشر لم يفقد قيمته اليوم ، لأنه يعالج كقاعدة موضوعاً ذا قيمة لازية ، أما الافتاحية التى كتبت فى القرن الثامن عشر فإنها لا تستوقف الاهتمام اليوم إلا لمجرد ما تنطوى عليه من قيمة أثرية ، ذلك أنها تكون قد عاجلت موضوعاً ذا علاقة آنية بذلك الوقت فحسب على حد تعبير « بوند » .

وتأسيساً على ذلك يمكن تعريف المقال الافتاحى بأنه مقال قصير وثيق الارتباط بالزمن الذى يصدر فيه .

أما الغرض الذى يرمى إليه هذا المقال الافتاحى فهو عرض الرأى

الذى تراه الصحيفة نفسها ، ولها عدة طرق لبيان هذه الأفكار والآراء .
ومما يذكر فى هذا الصدد أن « آرثر بريسبين » ، الذى كان له أتباع
كثيرون فى أيامه ، كان يعتقد أن مجال كاتب الافتتاحية يقوم على أداء
عدة أغراض ، هى : أن يعلم ، وينازل ، ويدافع ، ويمتدح .
والتعليم هو أهم هذه الأغراض وأصعبها . والتزال أسهلها وأبغضها
إلى النفس ، وأن تكون ضرورية فى بعض الأحيان .
أما الدفاع عن القضايا الخيرة ، وعن الضعيف ضد القوى ، وعن
الفكرة الجديدة والحيلولة دون تفسيفها ، فأمر مهم ويهمله كتاب
الافتتاحية عادة . .

وكذلك الثناء مهمل أيضاً إلا على الصعيد الحزبى دون أن يكون له
معنى ما^(١) . .

إن وظيفة الافتتاحية ، من وجهة نظر مثالية ، هى إعلام الرأى العام
والأخذ بيده ، فهى تفسر النبأ السائر للقارئ وتبين ماله من دلالة .
وتقول فى ذلك جريدة « نيويورك تايمز » : « إذا ضلت الوظيفة القيادية
طريقها فى بعض المواضع بين وقت وآخر ، فإن العامل المعتمد عليه فى
التصويب جاهز دائماً فى متناول اليد إذا كانت أعمدة الأنباء تعرض
الحقائق بأمانة » .

ونخلص مما تقدم إلى أن الخصائص التى يتميز بها المقال الافتتاحى فى

(١) د . حمزة : المختل ص ٢٩٣ .

الصحافة المعاصرة هي ^(١) :

أولاً : خصيصة الثبات على سياسة واحدة هي سياسة الصحافة ،
إذ لا يصح لهذه الصحيفة أن تكون مذبذبة بين سياسات كثيرة لأنها
بذلك تفقد أهميتها كصحيفة من صحف الرأي ومن أجل هذا يراعى في
المقال الافتتاحي عادة ألا يكون مذبذباً بتوقيع كاتبه ، لأنه مقال منسوب
إلى الصحيفة نفسها بوصفها هيئة من هيئات الإعلام ، لها سياستها
وهدفها من وراء هذا الإعلام .

ثانياً : خصيصة الحذر والاحتياط في إبداء الرأي لأنه مادام رئيس
التحرير أو كاتب المقال الافتتاحي لا يعبر عن رأيه الشخصي ، بل عن
رأى الصحيفة باعتبارها مؤسسة اجتماعية وظيفتها - الإعلام - وجب
عليه أن يصطنع الحيلة فيما يكتب من مواد باسم الصحيفة :
وإلا عرضها للخطر .

وهنا تثار مسألة تتصل « بضمير الكاتب » ، فهل معنى ما تقدم أن
الكاتب ينبغي أن يخالف ضميره فيما يقدم للقراء من هذه المادة الصحفية
الهامية التي هي ملك للصحيفة قبل أن تكون ملكاً لكاتب من كتابها ؟
والجواب عن ذلك - كما يقول الدكتور مبنسر - هو أن الكاتب
الذي يختلف في وجهة نظره عن وجهة نظر الصحيفة يجب ألا يجعل من
المقال الافتتاحي مجالا لإظهار ذلك .

(١) د. حمزة : المدخل ص ٢٢٠ .

وباختصار يجب أن يعرف المحرر الصحفي للمقال الافتتاحي أن هناك ثلاثة أشياء يؤثر بعضها في بعض ويعتمد بعضها على بعض ويتداخل بعضها في بعض ، وهذه الأشياء الثلاثة هي ^(١) :

سياسة الجريدة ، وصياغة المقال ، واهتمام القراء .

والواقع أن وظيفة كاتب الافتتاحية تظل هي كما كانت دائماً : تفسير الأنباء ، وإرشاد الرأي ، والقيام بالحملات من أجل مساندة القضايا العادلة ، ولكن النطاق الذي يعمل ضمنه قد اتسع ، على حد تعبير « بوند » .

وليس الترفيه أقل خصائص المقال الافتتاحي شأناً . فإن كاتب المقال الافتتاحي كثيراً ما يجد هذه المهمة أصعب من مجرد مناقشة قضية ما أو عرض عقيدة سياسية ما ، على أن الاتجاه الحديث المتزايد هو نحو إشاعة الإشراف على صفحة الافتتاحية بما يسمى الافتتاحيات « الرشيقية المرحية » المختلفة عن الافتتاحيات التقليدية ، كالبحث في قاعدة لغوية ومداعبة الشاذ عنها أو التمسك بأصولها حتى التعصب ^(٢) .

تلك في إيجاز شديد ، هي أهم خصائص المقال الافتتاحي في الصحافة العالمية ، والتي استمدتها نتيجة لتطور الصحافة نفسها ، فأصبحت الصحافة الحديثة تعتمد إلى كتابة العمود الرئيسي أو المقال

(١) حمزة : الملئط ص ٢٣١ .

(٢) بوند : مدخل ص ٢٢٩ .

٦٥

الافتتاحى على نحو من الإيجاز فى عمود واحد من أعمدة الصحيفة ،
وفى هذا العمود مقال واحد حيناً ، ومقالان أو ثلاثة حيناً آخر .
وذلك لكى تفسح المجال لبقية المواد الصحفية الأخرى التى لم تعرفها
الصحافة القديمة ، أو كانت معرفتها بهذه المواد قليلة .

(ب) فنّ العمود الصحفي

نتحدث هنا عن « فن العمود الصحفي » لتعرف على فن مقال جديد في الصحافة ، التي يمكن أن نميز فيها اهتماماً بالغاً بفنون : المعالم في التحرير الصحفي ، التي تشمل التقرير الصحفي والحديث الخاص ، وكما رأينا عند دراسة المقالات الصحفية Articles والمقالات الافتتاحية . Leading Articles

ويجيء فن العمود الصحفي في مكانه من الجانب المقال الذي احتل حيزاً كبيراً من الصحافة ، لما يمتاز به من وصف واقعي ورجوع إلى مصادر الأنباء ، وأسلوب صحفي اجتماعي بسيط ، فضلاً عن تنوع أساليب التحرير في المقال ، وعلى الرغم من أن لفن العمود الصحفي في الجريدة اليوم منزلة الباب الصحفي الثابت في العالم ، وعلى الرغم من أن عدد قرائه يزيد كثيراً على عدد قراء الافتتاحية غير الموقعة ، فإن تكامل العمود وشعبيته حديثاً عهد نسبياً . ذلك أن الصحف اهتمت في حياتها بالخبر ثم بالمقال ، على حين لم يتسع المجال للعمود الصحفي فلم يظهر إلا متأخراً ، وإذا جاز أن يختار تاريخ لظهور أهمية العمود الصحفي في الصحف ، فإن من المرجح أن يكون ذلك التاريخ منحصرأ في أوائل

القرن العشرين . فالصحف العربية والمصرية خاصة ، كانت تعتمد على المقال الافتتاحي ، الذي كان طويلا في البداية ، ثم أخذ يقصر شيئا فشيئا ، كما كانت موضوعات هذا المقال تدور حول موضوعات جادة في أغلب الأحيان ، وإن كانت تتناول أحيانا بعض الموضوعات الطريفة . غير أن الصحف المصرية قد أخذت عن الصحافة الغربية فن العمود الصحفي ، فنحن نجد طه حسين يتجه في أوائل العشرينيات إلى العمود المتخصص ، أو الثقافي ، في « حديث الأربعاء » ومن ذلك بين أن ظهور العمود المتخصص ، بداءة في مقال طه حسين ، يعكس حاجة التجاوب بين الصحافة وطبقات الشعب المصري بعد ثورة ١٩١٩ ، والتي دفعت الكتاب إلى أنحاء من التصوير والتعبير بطمحون إلى أن تكون « مرآة صافية صقيلة لحياة الشعب ، يرى فيها الشعب نفسه فيحب منها ما يحب ويغض منها ما يغض ، ويدفعه حبه إلى التماس الكمال ، ويدفعه بغضه إلى التماس الإصلاح » .

والعمود المتخصص إذن ، ثمرة من ثمار الروابط الثقافية والاجتماعية ، التي ظهرت بظهور الترابط الاجتماعي متعدد الوجوه وتجارب الصحافة مع الطبقات الجديدة في المجتمعات المختلفة . وهو عند طه حسين يحقق الصلة بين « الشعب وحياته الواقعة من الناس دون تفريق » .

وفي ضوء هذه الرؤيا ، تتعدد أذواق قراء الصحف ومشاربهم

ومستوياتهم ، طبقياً واجتماعياً ، واقتصادياً وثقافياً ، وفي مواجهة هذه الحياة الواقعة الجديدة ليس للصحافة بد من أن تتطور وتغير من أسلوب تحريرها واختيار موضوعاتها ، فالتجهت المقالات إلى الاهتمام بمصالح الأفراد والجماعات المتعددة المذاهب والاتجاهات والأهداف . . ونشأ عن هذا الاتجاه : المقال الافتتاحي القصير ثم فن العمود الصحفي الذي أخذناه عن الصحافة الغربية .

ولكن هذا الفن يرتبط بما اتصف به النصف الأول من هذا القرن في نهايته من عامل السرعة من جهة ، وبالضغوط التي تعرضت لها الصحافة المصرية ، كما يبين من التشريعات الخاصة بالنشر من جهة أخرى ، بحيث أصبح المقال الموقع في الصحف اليومية في مواجهة ضغوط لا تنبع كلها من داخل صناعة الصحف وإنما تنبع من أعمال الرقابة الإدارية على الصحف كذلك . ولعل في هذا ما يفسر اتجاه فن العمود إلى التوصل بالرمز ، لمواجهة المصادرة التي فرضت على الصحف والكتب ، وهنا نجد طه حسين - مثلاً - يكتب « جنة الشوك » . وينشرها على شكل عمود في « الأهرام » في الأربعينيات قبل جمعها في كتاب ينشر لأول مرة عام ١٩٤٥ . وظل هذا العنوان اسماً لعموده الصحفي في « الجمهورية » في الستينيات .

ومقال العمود حديث شخصي يومي أو أسبوعي للكاتب معين يوقعه باسمه وتحت عنوان ثابت مثل « فكرة » لمصطفى أمين بالأخبار ، والتي

كان يكتبها من قبل المرحوم على أمين ، و « مواقف » لأنيس منصور بالأهرام والتي كان يكتبها من قبل بالأخبار و « نحو النور » لزكى عبد القادر بالأخبار و « الموقف الراهن » لرائد عطار و « مجرد نصيحة » لصلاح متصر بالأهرام . . و « صندوق الدنيا » لأحمد بهجت بالأهرام إلخ .

والعمود الصحفي يمثل فكرة أو رأياً أو خاطراً للكاتب ، حول واقعة أو ظاهرة اجتماعية ، أو سياسية أو ثقافية . ذلك أن الغاية الأساسية من هذا الفن المقالى هى ربط القارئ بالكاتب وبالصحيفة . ويعتبر العمود رأياً شخصياً للكاتب قد يختلف مع سياسة الصحيفة في موضوع معين ، غير أن بعض علماء الصحافة مثل ليلينج يذهبون إلى أن كاتب العمود لا يختلف عن كاتب المقال الافتتاحي ، لأنه يعرض وجهة نظر الصحيفة لا وجهة نظره هو ، على أن معظم الصحف الكبرى في العالم تؤثر أن يكتب الكاتب بحرية كافية معبراً عن رأيه الشخصي .

فعمود أنيس منصور « مواقف » ينطبق عليه قول ابن العميد عن الجاحظ بمعنى أنه « يعلم العقل أولاً والأدب والسياسة بعد ذلك » ، فأنيس منصور ومصطفى أمين يمثلان ما وصلت إليه المدرسة الحديثة من ترسل صحفي يمتاز بالبساطة والوضوح وحرية التعبير القائم على التعقيل الصحيح . أما رائد عطار فإنه يأخذ نفسه بموضوع سياسى معين لا يحاول الخروج عنه ، بحيث تقترب مقالاته العمودية من فن أديسون الذى جمع

بين الفلسفة العقلية وإجادة الأسلوب الصحفي . في حين يقترب مصطفى أمين وأنيس منصور من فن « مونتاني » من حيث التعبير عن الآراء الشخصية التي تجعل من فن العمود قصيدة غنائية .

ويمثل صلاح متصر في « مجرد نصيحة » أهم خصيصة من خصائص فن العمود ونعني « روح الفكاهة » ؛ حيث يعتمد فيه على حسن تذوقه للحوادث اليومية ، كما يعتمد على الشواهد العملية ؛ ذلك أنه يفترض في عموده دائماً وجود « الآخر » الذي يسخر منه ؛ أو يشترك معه في السخرية ، أو يتبادل معه النكتة ؛ ولكنه يوظف هذه السخرية لأداء وظائف الصحافة في اتخاذ السخرية سبباً مصلحاً تسلطه على رقاب الخارجين على المعايير العامة .

و « روح الفكاهة » هي السمة الرئيسية لعمود أحمد بهجت « صندوق الدنيا » ؛ حيث يوظف هذا العمود للسخرية اللاذعة والضحك الموجه من الخارجين على قوانين المجتمع ؛ ولعل أحمد بهجت وهو يفعل ذلك يتمثل الشخصية المصرية في اتخاذها للسخرية وسيلة للنقد والإصلاح بالنسبة إلى المجتمع المصري ذاته ؛ ذلك أن الضحك - كما يقول برجسون - وسيلة فعالة لتصحيح أو تعديل تلك الآليات الضارة التي تنطوي عليها حياتنا الاجتماعية العادية بإظهارنا على ما فيها من سخف وعيب وتفاهة .

ومن أجل ذلك يذهب العلماء إلى أن خصائص العمود من حيث

التعبير تشمل : جمال الأسلوب وروح الفكاهة والذاتية التي تميزه عن المقال الافتاحي ؛ واتخاذ شكل الهرم المعتدل في الصياغة والإيجاز في العبارة ، وربما كان أهم من ذلك كله أن كتاب العمود الصحفي ينبغي لهم ألا يضيعوا من وقتهم ومن وقت القراء - على حد تعبير ريفرز - في تقديم قضية من القضايا بطريقة القصة الخيرية ، ثم يلصقون في نهايتها فقرة قصيرة من المدح ، أو القدح .

(ح) فن اليوميات الصحفية

يقترّب فن اليوميات الصحفية من روح فن العمود الصحفي من حيث التعبير عن خوالج النفس وروح المذهب الذي يعتنقه الكاتب ، ونظّره إلى الحياة ، حيث يسجل في هذا الفن المقالى خواطره المنشأرة التى تؤثر فى القارئ ، وهى خواطر تتصل بصلاآ من العاطفة أو الخيال ، ذلك أن فن اليوميات يتضمن خاطراً يلحق خاطراً ويتبعه - لا لأن بينهما علاقة منطقية كالتى تأتى بالنتيجة وراء سببها بل لأن هذين الخاطرين مرتبطان فى خيال الكاتب أو يتصلان بعاطفته ، كما يذهب إلى ذلك « تشارلتن » .

فكاتب اليوميات الصحفية يكتب « وكأنه يتحدث فى سمر حديثاً مطلقاً من كل قيد ، فيدع الخواطر يسوق بعضها بعضاً بما بينها من روابط تستدعى متابعتها وتداعيتها دون أن يعمل فى ذلك عقله ومنطقه لينظم الترتيب والسياق . . هكذا بدأ مونتاني أدب المقالة على وجهه الصحيح » .

ويذهب بعض علماء الصحافة إلى أن المحرر الصحفي ينبغي أن يترك آراءه الخاصة عند باب غرفة التحرير ، ويخلعها دائماً كما يخلع معطفه عند

هذا الباب حتى إذا ما انتهى عمله ، وعاد إلى معطفه عادت إليه آراؤه الخاصة التي يمكنه أن يحتفظ بها لنفسه ، غير أن هذا الرأي لا يمكن أن ينطبق على كاتب اليوميات بصفة مطلقة ، وذلك - كما يقول الدكتور إمام - لأن اليوميات أشبه بالمقال الأدبي من بحث العناية باختيار الألفاظ والاحتفاظ بطلاوة الأسلوب ، بل لعلها أقرب إلى مقالات الاعترافات بصفة خاصة ، فهي تقدم صوراً نابضة بالحياة ، زانحة بالمعاني ، وهي تتطلب سيطرة تامة على اللغة والتعبير بالأسلوب السهل الممتنع ، ولا شك أن طواعية اللغة لا تيسر إلا للعارفين بها ، والقادرين عليها . على نحو ما نجد في « يوميات الأخبار » التي كان يكتبها العقاد رحمه الله ، والتي لا يزال يكتبها نخبة من الكتاب من أمثال : إبراهيم المصري - زكي عبد القادر - محمد فهمي عبد اللطيف ، وكما نجد في « مفكرة » الأهرام التي يكتبها حشد من الأدباء والمفكرين من أمثال : عبد الرحمن الشرقاوي - ثروت أباظة - زكي نجيب محمود ود . يوسف عز الدين عيسى . وغيرهم .

وفي مقالات « اليوميات » بالأخبار ، وه المفكرة « بالأهرام » ، يبين لنا أن فن اليوميات الصحفية يمكن أن يتلخص في أنه يتناول الفكرة والأداء في وصل جماهير الناس بالحضارة ومعطيات العصر : آرائه وأفكاره وأدواته وآلاته وتشوقه وتطلعاته ، عن طريق تطويع اللغة لمعطيات الحضارة .

صدر من هذه السلسلة :

- | | |
|------------------------------------|---------------------------|
| ١ - طعام الفهم والروح والعقل | توفيق الحكيم |
| ٢ - الفصاء ومقتل الإنسان | د. فاروق الباز |
| ٣ - شريعة الله وشريعة الإنسان | المستشار على منصور |
| ٤ - أسس التفكير العلمي | د. زكي مجيب محمود |
| ٥ - عالم الحيوان | د. محمد رشاد الطويل |
| ٦ - تاريخ التاريخ | علي أدهم |
| ٧ - الفلسفة في مسارها التاريخي | د. توفيق الطويل |
| ٨ - حواء وبناتها في القرآن الكريم | أمينة الصاوي |
| ٩ - علم التفسير . | د. محمد حسين الذهبي |
| ١٠ - المسرح الملحمي | د. عبد الغفار مكاوي |
| ١١ - تاريخ العلوم عند العرب | د. أحمد سعيد الدمرداش |
| ١٢ - شلل الأطفال | د. مصطفى الديواني |
| ١٣ - الصهيونية | فهي الأياري |
| ١٤ - البطولة في القصص الشعبي | د. نبيلة إبراهيم سالم |
| ١٤م - عيون تكشف المجهول | د. محمد عبد الهادي |
| ١٥ - الحضارة | د. أحمد حمدي محمود |
| ١٦ - أيامي على القرا | سلوى العناني |
| ١٧ - المساراة في الإسلام | د. محمد بدیع شريف |
| ١٨ - القصة القصيرة | د. سيد حامد النجاج |
| ١٩ - عالم النبات | د. مصطفى عبد العزيز مصطفى |
| ٢٠ - العدالة الاجتماعية في الإسلام | أنور أحمد |
| ٢١ - السينا فن | صلاح أبو سيف |

- | | |
|------------------------------------|-----------------------------|
| ٢٢ - قناصل الدول | أحمد عبد الحميد |
| ٢٣ - الأدب العربى وتاريخه | د . أحمد الحرق |
| ٢٤ - الكتاب والمكتبة والقارئ | حسن رشاد |
| ٢٥ - الصحة النفسية | د . سلوى الملا |
| ٢٦ - طبيعة الدراما | د . إبراهيم حمادة |
| ٢٧ - الحضارة الإسلامية | د . على حسن الحروبولى |
| ٢٨ - علم الاجتماع | د . فاروق محمد العادلى |
| ٢٨م - روح مصر فى قصص السباعى | حسن محسب |
| ٢٩ - القصة فى الشعر العربى | نروت أباطة |
| ٣٠ - العارة الإسلامية | د . كمال الدين سامح |
| ٣١ - الغلاف الحوى | د . يوسف عبد الحميد فايد |
| ٣١م - محمود حسن اسماعيل | د . عبد العزيز الدسوقى |
| ٣٢ - التاريخ عند المسلمين | محمد عبد الغنى حسن |
| ٣٣ - الخلق الفنى | د . مصرى عبد الحميد حنوره |
| ٣٤ - البوصيرى المادح الأعظم للرسول | عبد العال الحامصى |
| ٣٥ - التراث العربى | عبد السلام هارون |
| ٣٦ - العودة الى الإيمان | أحمد حسن الباقورى |
| ٣٧ - الصحافة مهنة ورسالة | د . خليل صابات |
| ٣٨ - يوميات طبيب فى الأرياف | د . الدمرداش أحمد |
| ٣٩ - السلام وجائزة السلام | عثمان نويه |
| ٤٠ - الشريعة الإسلامية | المستشار عبد الحليم الحندى |
| ٤١ - ثقافة الطفل العربى | جمال أبورية |
| ٤٢ - اللغة الفارسية | د . محمد نور الدين عبد المم |
| ٤٣ - حضارتنا وحضارتهم | د . عبد النعم النمر |

- | | |
|----------------------|-----------------------------------|
| محمد قنديل البقل | ٤٤ - الأمثال الشعبية |
| د. حنين عمر | ٤٥ - التعريف بالاقتصاد |
| حسن فؤاد | ٤٦ - المستوطنات اليهودية |
| محمد فرج | ٤٧ - بدر والفتح |
| د. عبد الحليم محمود | ٤٨ - الفلسفة والحقيقة . |
| د. عادل صادق | ٤٩ - الطب النفسى |
| د. حنين مؤنس | ٥٠ - كيف نفهم اليهود |
| د. فوزية لهنم | ٥١ - الفن الإذاعى |
| محمد شوق أمين | ٥٢ - الكتابة العربية |
| د. أحمد غريب | ٥٣ - مرض السكر |
| فتحى سعيد | ٥٤ - شرق أمير الشعراء . . لماذا ؟ |
| د. أحمد عاطف العراقى | ٥٥ - الفلسفة الإسلامية |
| حسن الجار | ٥٦ - الشعر فى المعركة |
| سامح كرم | ٥٧ - طه حسين يتكلم |
| د. عبد العزيز شرف | ٥٨ - الإعلام ولغة الحضارة |
| على شلش | ٥٩ - تاجور شاعر الحب والحكمة |
| د. فرخندة حسن | ٦٠ - كوكب الأرض |
| فاروق عورشيد | ٦١ - السر الشعبية |
| د. إبراهيم شتا | ٦٢ - التصوف عند الفرس |
| د. أمال فريد | ٦٣ - الرومانسية فى الأدب الفرنسى |
| محمود بن الشريف | ٦٤ - القرآن وحياتنا الثالثة |
| د. نعيم عطية | ٦٥ - التعبير فى الفن التشكىلى |
| فؤاد شاكر | ٦٦ - ميراث الفقراء |
| المهندس حسن فتحى | ٦٧ - العمارة والبيئة |

- | | |
|----------------------------------|-------------------------|
| ٦٨ - قادة الفكر الاقصادى | د . صلاح نامق |
| ٦٩ - المسرح الغنائى العربى | محمود كامل |
| ٧٠ - الله أم الطبيعة | د . يوسف عز الدين عيسى |
| ٧١ - بحر الهواء الذى نعيش فيه | د . مدحت اسلام |
| ٧٢ - الأدب الفرنسى فى عصر النهضة | د . رجاء ياقوت |
| ٧٣ - الحرب ضد التلوث | رجب سعد السيد |
| ٧٤ - القصة والمجتمع | يوسف الشارونى |
| ٧٥ - المتطرون الثلاثة | عبد الله الكبير |
| ٧٥م - محمود أبو الوفا | فتحى سعيد |
| ٧٦ - العسكرية الإسلامية | لواء / جمال الدين محفوظ |
| ٧٧ - الغايات اللرية | د . محمد عبد الله يومى |
| ٧٨ - الإعلام والتلفذ الفنى | د . أحمد المغازى |
| ٧٩ - المسرح الأمريكى | د . عبد العزيز حمودة |
| ٨٠ - زحف الصحراء | د . محمد فتحى عوض الله |
| ٨١ - مشاكل الطفل النفسية | د . كلير فهم |
| ٨٢ - الأدب التركى | د . حنين مجيب المهرى |
| ٨٣ - معاداة الحيوية | د . محمد صادق صبور |
| ٨٤ - الرواية الإنجليزية | د . إنجيل بطرس |
| ٨٥ - الصعك فلسفة وفن | جلال العشرى |
| ٨٦ - الاستثمارات الأجنبية | د . عبد الواحد الفار |
| ٨٧ - لغتنا الجميلة | فاروق شوشة |
| ٨٨ - الحرب عند العرب | د . عبد الرحمن زكى |
| ٨٩ - لتلا تحترف البكاء | نشأت التظلى |
| ٩٠ - الإسلام وروح العصر | د . حسين فوزى النجار |

- | | |
|--------------------------------------|-------------------------|
| ٩١ - التراث الشعبي | د . عبد الحميد يونس |
| ٩٢ - علم المنطق | د . محمد مهران |
| ٩٣ - القلب وتصل الشرايين | د . رجب عبد السلام |
| ٩٤ - فن الخزف | سعد الحادى |
| ٩٥ - الإعجاز القرآنى | د . محمد أحمد العزب |
| ٩٦ - سفراء النبى | د . مختار الوكيل |
| ٩٧ - ساعة مع القرآن العظيم | د . عبد العظيم المطعنى |
| ٩٨ - لغة الصحافة المعاصرة | د . محمد حسن عبد العزيز |
| ٩٩ - الكيمياء الصناعية | د . محمد الحلوجى |
| ١٠٠ - الدراما الأفريقية | د . على شلش |
| ١٠١ - وكالات الأنباء . | شفيق عبد اللطيف |
| ١٠٢ - الحدوتة والحكاية الشعبية | محمد فهمى عبد*اللطيف |
| ١٠٣ - ألف باء السياسة | د . أحمد حمدي محمود |
| ١٠٤ - تطور الشعر فى الغناء العربى | عطاس عبد الملك |
| ١٠٥ - الحرب الإلكترونية | عبد مباحر |
| ١٠٦ - البطل فى القصة المصرية | حسن محسب |
| ١٠٧ - عجائب الحشرات | د . محمد طلعت الأبراشى |
| ١٠٨ - الإذاعة خارج الحدود | أنور شتا |
| ١٠٨م - مصر الحضراء | د . فلورق الباز |
| ١٠٩ - القانون الطبيعى وقواعد العدالة | عبد السميع الهراوى |
| ١١٠ - فن التصوير السينمائى | أحمد الحضرى |
| ١١١ - الطاقة | د . محمد فتحى عوض الله |
| ١١٢ - الفن والمرأة | شريفة فتحى |
| ١١٣ - نظام الحكم فى الإسلام | د . مصطفى كمال وصفي |

- | | |
|---------------------------------|----------------------------------|
| ١١٤ - رحلتى مع الرواية | فتحى أبو الفضل |
| ١١٥ - التطور | د. منى فريد |
| ١١٦ - الأدب والمواطن | عباس خضر |
| ١١٧ - آفاق جديدة في التعلم | د. طلعت حسن |
| ١١٨ - الفن القبطى | د. باهر لبيب |
| ١١٩ - اجتماعيات التنمية | د. محمود الكردى |
| ١٢٠ - المسرح الشامل | أحمد زكى |
| ١٢١ - رسائل إخوان الصفا | د. على السكرى |
| ١٢٢ - الرمزية الصوفية في القرآن | د. سيد عبد التواب |
| ١٢٣ - الحب في الشعر الفارسى | د. عفاف زيدان |
| ١٢٤ - الإنسان والعلم | د. عبد العزيز أمين |
| ١٢٥ - نظرات في القصة القصيرة | حنى القبلى |
| ١٢٦ - الفراعنة أساطين الطب | محمد عبد الحميد بسيوى |
| ١٢٧ - كهف الحكيم | فتحى العشرى |
| ١٢٨ - فنون الزجل | محمد قنديل البقل |
| ١٢٩ - للألبان فلسفة وأسرار | د. مصطفى الديبولى |
| ١٣٠ - الدراما اليونانية | كمال محمد وحامدى |
| ١٣١ - الأسرة في الدين والحياة | المستشار محمد عبد الفتاح الشهاوى |
| ١٣٢ - الأدب والحضارة | د. نemat أحمد فزاد |
| ١٣٣ - الجراحة علم وفن | د. عوض الدحة |
| ١٣٤ - علم النفس والجريمة | المستشار محمد فتحى |
| ١٣٥ - فن المقال الصحفى | د. عبد العزيز شرف |

شاليس

هذا الكتاب

تلتقط هذه الدراسة المقال الصحفي من بين
فنون القول الأخرى ، وتتناوله وتحيط به لتعرف
به ، وتحديد بيئته ومقوماته من خلال البيئة
المصرية خاصة .

والمؤلف له باع طويل في هذه الدراسات
أضاف به الكثير إلى المكتبة الحديثة .